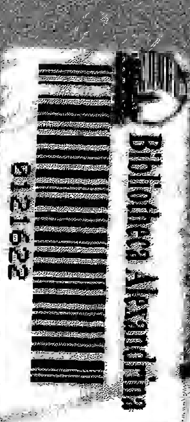
منهج البحث البلاغي

عائشة حسين فريد



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب




منهج البحث البلاغي



منهج البحث البلاغي

دكتورة عائشة حسين فريد

أستاذ مساعد في قسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعـــــة الأزهــــــر

النـاشـــر
دار قبـــــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

الكتــــــاب : منهج البحث البلاغى
المؤلـــــف : د. عائشة حسين فريد
الطبعة الأولى : ١٩٩٧

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسى والمطابـــع : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

رقـــم الإيـــــداع : ٩٧/٥١٢٥
الترقيـم الدولـــى : I. S. B. N
977-5810-23-x

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهــــداء

إلى من يحبون اللغة العربية وينقبون عن كنوزها وأسرارها،

إلى من يحبون البلاغة من أجل فهم إعجاز القرآن الكريم ،

إلى المشتغلين بالبلاغة والمشغولين بها ،

إلى كل من أسدىَ إلىَّ معروفاً أو جميل صنع ،

أقدم هذا العمل المتواضع، راجية قبوله منّى،

والتغاضى عن زلاتى.

د. عائشة حسين فريد



المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعــد

فالبحث العلمى ممارسة وتجارب وتطبيق،والباحث العلمى قد يكون حديث عهد به، ولا بد له من دليل يرشده، ومرجع يقصده فى هذا المجال، ويمده بالمناهج العلمية، والأساليب الصحيحة، ويمنحه الطريق السليم للسير فى بحثه على ضياء، فيوفر جهده ووقته، ويصل إلى هدفه المنشود.

وهذه خطوات تضئ الطريق أمام من يريد كيفية البحث والدرس والتنقيب عن كنوز المعرفة وأسرارها ليصير ناضج العقل، ثاقب البصيرة فى الإدلاء بأحكامه، ثابت الأقدام أمام طريقة البحث، فتتكون لديه القدرة على التأليف، وكتابة الأبحاث بطريقة علمية سليمة، والبحث البلاغي له قيمته وأهميته، لأن البلاغة فى ذاتها واجب على المسلم أن يتعلمها، فهى أولى العلوم بالتعلم؛ إذ بها يُعرف إعجازُ القرآن الكريم معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ودلالة صدقه فيما بلغ عن رب العزة سبحانه وتعالى، وبالبلاغة يستطيع الناقد أن يميز الكلام الجيد من الرديء، كما أنها تمكنه من إنشاء الكلام الجيد، وابتكار المعانى الغائبة، واختيار الألفاظ المناسبة.

ومنهج البحث يعد ضرورياً لكل باحث، وهو عون له حتى يحفظ بحثه من الحشو والتطويل أو الاختصار المخل بالبلاغة، وتعتبر هذه الخطوات ذات أهمية بالغة لمن يتخصص فى البلاغة لئلا يختلط عليه

الأمر مع الأدب، وذلك لأن الأدب حقل البلاغة، والبلاغة هى الثمرة الناضجة التى تجمّل الحقل وتزيّنه، فيتذوقها المتخصصون ليبرزوا حلاوتها، وصفاتها المميزة.

هذا ولقد كثر الحديث عن البحث الأدبى، واهتم الكثيرون بالكتابة فيه، ولم أجد ـ على حسب علمى ـ من تحدث عن البحث البلاغى حديثاً خاصاً، فآثرت تبيان ذلك موضحة الخيط الدقيق الذى يفصل بين الاتجاهين: الأدبى والبلاغى، ـ مع العلم أن اللغة العربية متكاملة بعلومها المختلفة من النحو والصرف وفقه اللغة والأدب والبلاغة، إلا أن لكل علم منها أسسه ومفاهيمه فى تناول اللغة من جهته، حتى نصل إلى فهم أسرارها ومعرفة دقتها فى التعبير وجمال الأساليب المستخدمة ـ ، وأوضحت مدى الصلة بين الأدب والبلاغة، وتحدثت عن أبرز المعاجم والقواميس وأهم المصادر والمراجع البلاغية التى يحتاجها الباحث فى البلاغة، مشيرة إلى علماء البلاغة العربية، ومجمل ما تحويه كتبهم البلاغية من جهود تخدم علوم البلاغة، وتظهر ثمرتها فى محاولات التوصل إلى فهم إعجاز القرآن الكريم حيث لا سبيل لفهم أساليبه الرفيعة إلاّ بطريق البلاغة.

وشاعت الفكرة التى تبين إعجاز القرآن الكريم الذى لا يفهم إلاّ عن طريق علوم البلاغة، فحفزت هذه الفكرة الكثير من الباحثين، وكان من حسن حظ البلاغة أن المناقشة فى الإعجاز وفهم آيات العقائد قد روّجت سوق البحث البلاغى، فنشط المتكلمون وأخذوا يبحثون فى بلاغة القرآن الكريم، والتعرف على أساليبه، وبينوا كيف جعلوا من آياته دليلا على إعجازه وغذوا أفكارهم بالمعانى القرآنية التى هى ذروةُ البلاغة، وعكف الجميع على تبيان ذلك، فأظهرتُ فضل العلماء فى هذا

المجال، وكيف اختلف أداؤهم باختلاف شخصياتهم وعصورهم، وتتبعت هذا منذ بداية التأليف وأول من ألف فى هذا الاتجاه، ومن ظهر بعد ذلك من علماء اتجهوا إلى البلاغة والدراسات البلاغية على مر العصور حيث تطورت الأفكار، واختلفت باختلاف الأزمان والأحداث وكتبت نبذة عما تحويه كتبهم مما يضىء الطريق أمام الباحث فى البلاغة العربية ولتكون له عوناً لمعرفة المكتبة البلاغية بمؤلفيها ومؤلفاتها.

هذا، ولقد استعنت فى بحثى بأمهات الكتب والمصادر والمراجع والمعاجم اللغوية، ومعاجم التراجم والسير التى تفيد الباحث فى البلاغة.

ولقد احتوى البحث على الشروط الواجب توافرها للباحث والبحث وكيفية كتابة بحث بلاغى جيد على أسس علمية منظمة، مع تعريف الباحث بأبرز المعاجم اللغوية ومعاجم التراجم والسير، والمراجع البلاغية التى هى زاد الباحث فى رحلته مع البلاغة التى تطورت عبر العصور، ثم أهم النتائج التى توصلت إليها، هذا وما أبرزته من عمل كان بمثابة معالم على الطريق.

وبعد ...

فإن كنت قد وفقت فيما إليه قصدت فذلك من فضل الله تعالى، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أخلصت النية، وصدق منى العزم، ولم أدخر وسعاً فى البحث والتنقيب والنظر والتعقيب، والله أسأل أن يوفقنى إلى خير الأعمال، وأن يكون عملى خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

"وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

د. / عائشة فريد



الفصل الأول

- التعريـــف بالبحـــث

- خطوات كتابة البحث البلاغي



يحتاج الإنسان إلى البحث العلمي لنهوض الأمة به، حيث لا ترقى الأمم دون تفكير متواصل فيما يزخر به الكون، ولذلك كانت نعمة التفكير من أجلّ النعم التي امتن الله بها على بني آدم، فبها تظهر الحقائق، وتوضع في موضعها الصحيح بعد أن يكشف عنها أستار الغموض.

على أن الوصول إلى الحقيقة ليس هيّناً في كل الأحوال، فقد يحيد المرء عن الطريق فيضل الفكر، ويتعذر عليه إدراكها، ولهذا كانت الحاجة ماسة إلى إضفاء الروح العلمية على التفكير العقلي من خلال منهج واضح المعالم ومحدد القسمات.

البحث : هو طلب الشيء والتفتيش عنه، وأن تسأل عن الشيء وتستخبر [١].

والبحث العلمي : دراسة متخصصة في موضوع معين حسب مناهج وأصول معينة.

أما البحث البلاغي : فهو ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ الذي يشتمل على الطرق التي توصلنا إلى معرفة خلاصة الفكر والعاطفة والتعبير عنهما بأسلوب ينم عن ذوق فني، يتذوقه الناقدون وأصحاب الملكة اللغوية، ويسهم إسهاما فعالا في إبراز عناصر الجمال في الأدب العربي بعامة.

والبحث البلاغي يتجه بالأدب إلى البحث عن معرفة الأسباب التي أدت إلى إثارة المشاعر والانفعالات في قلوب القراء والسامعين، وذلك

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢١٤/١.

لاعتماده على الخيال في توضيح الفكرة وفى الكلمات المعبرة عنها، ويلاحظ ذلك في تصويره وتجسيمه للأفكار بما يسمى اللغة التصويرية التي تحتوى على التشبيه أو المجاز[1] المرسل والمجاز العقلى والاستعارة والكناية، إذ أن الأديب لا يتحدث حديث الشخص العادى المجرد كلامه من التصوير، بل يتحدث حديثاً مصوراً بالألوان والحركة والصوت والسكون، وهو حديث يختلف باختلاف معانيه واختلاف مواقفه وأحاسيسه ومشاعره، فمثلاً قد يقف الأديب على شاطئ بحر، فيحس كأن البحر يلهث ويئن من التعب، وكأن الصراع مازال ينشب بين أمواجه ورمال الشاطئ، وتمضى به الأيام وتتبدل حالته النفسية، ويقف على المكان نفسه. وأمام ذلك البحر وتلك الرمال، فيرى البحر متألقاً ضاحكاً، ويتخيل لقاءً سعيداً ينعقد بين أمواجه ورمال الشاطئ، حتى ليظن أنهما يتعانقان عناق المحبين، وترتد الأمواج على استحياء، وقد أشرب وجهها حمرة الخجل.

ولا يتضح ذلك في المواقف وحدها، بل يتضح أيضاً في المادة اللفظية وما يجرى فيها من نظم وتصوير، ولذلك فإن الأدباء يأتون بما يمتعوننا به، إذ يخاطبون فينا جانباً مستكنا في نفوسنا، وهو ما جعلهم من قديم يعرضون علينا معانيهم مصورة

---

(١) والمحار ينقسم إلى قسمين :

أ ـ مجاز فى المعرد أو الكلمة : فالمجاز فى المفرد أو ما يسمى بالمحاز اللغوى : هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلامة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الاصلى. فما كانت علاقته المشابهة يسمى استعارة، وما كانت علاقتة غير المشابهة يسمى مجازاً مرسلا.

ب ـ محاز فى التركيب أو الإسناد : فمحاز الإسناد : هو إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له فى الحقيقة، ويسمى بالمحاز العقلى.

مجسدة حتى يبلغوا ما يريدون من التأثير فيمن يخاطبونهم، ويوضح ذلك من بعض الوجوه ما نشعر به من فرق، حين نقول عن طلوع الفجر وتفلت أضوائه من الأفق مثلاً :

"ظهرت أضواء الفجر، وأن نقول : رأيت من خلال النافذة أنامل الفجر الرمادية وهى تنشب أظفارها في أعناق النجوم المرتعشة الشاحبة."(١)

وأساس الفرق بين القولين، طريقة الأداء إلى جانب الخيال، فتأثير الصور الخيالية بالأداء البلاغي يؤثر في نفوسنا تأثيراً عميقاً، مما يجعلنا نفاضل بين أداءين.

وأستطيع أن أقول إثر هذا إن من أراد أن يؤلف كتاباً فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس فيتذوقون ما فيه، فيعجبهم أوْ لا يعجبهم، ويسرون أو غير ذلك، مما يجعلهم يبدون استحسانهم أو استياءهم وأسباب كل.

وإذا كان البحث يعنى في حقيقة معناه أن ينشد الباحث ضالته في مصادرها، وأماكن وجودها، وبذل الممكن من جهد وفكر وزمن للتوصل إليها وفهمها وتحليلها في أضيق وأوسع مدلولاتها، فالقدرة على الإبداع والتنسيق للأفكار في أسلوب علمى مُنظَّم وتعبير سليم واضح هو قوام البحث وعموده، والوسيلة الوحيدة لقراءة أفكار البحث والتعايش معها.

---

(١) انظر : البحث الأدبى للدكتور / شوقى ضيف ص ١٠-١٣ بتصرف ط٦ دار المعارف.

والبحث العلمي مسئولية تتطلب من الباحث الأمانة العلمية، ولابد للباحث من الصبر والمثابرة والتأني وبُعد النظر، والإخلاص في البحث ومتابعة الموضوع كلاً وجزءاً، وفى جميع الأوقات، وبهذا تتكشف جوانب البحث وتتابع الأفكار وتتوارد المعاني.

والتأني من ضروريات البحث العلمي ليكوِّن الباحث انطباعاً سليماً، ويؤسس أحكاماً وتقديرات صحيحة، والإخلاص للبحث هو لب العمل وروحه.

ومن أجل كتابة بحث جيد، والوصول إلى الهدف المنشود يجب على الباحث أن يتبع خطوات يسير عليها لئلا يضل طريقه، ولكى يعود ذلك على بحثه بالفائدة، وهى أساسيات لا يمكن إغفالها أو محاولة التغاضى عن الالتزام بها، وهذه الخطوات حسب أهميتها ـ كما أرى ـ هي :

١- القراءة الواسعة :

وهى الإحاطة بكل ما يتصل بالبحث من أخبار سواء جاءت على لسان قدماء أو محدثين، وسواء أكانت محمولة إليه بوساطة المطبوعات أو المخطوطات، وأن يتأمل الباحث ويفحص ما قرأه، ويفهمه دون أن تفلت منه كلمة إلا وعاها، ومن هنا تبرز عمليتان جسيمتان هما : الاستقراء والاستنباط، أي استقراء الحقائق الجزئية فى القصيدة الواحدة من شعر شاعر اختاره الباحث، واستنباط الحقائق الكلية في الحكم على شعره والقضايا العامة التي تستنبط من السمات الأسلوبية التي يتميز بها عصر الشاعر.

وعلى الباحث أن يوازن ويقارن وينتخب ما هو مفيد لبحثه، فليس له أن يحشر كل ما جمعه للبحث، وأن يصنف المعلومات حسب الموضوعات التي يتضمنها بحثه مبتدئاً بالجزئيات والمفردات منتقلاً إلى الكليات، فهو يبدأ بدراسة الخاص، وينتقل إلى دراسة العام، فمثلاً يبدأ بقصيدة، ويتطرق إلى قصائد أخرى مماثلة في عصر آخر ؛ ليقف على ما تشترك فيه تلك القصيدة مع القصائد من خصائص بلاغية تميز بها أسلوب الشاعر.

فالاستقراء هو جمع المواد التي تخدم الموضوع الواحد، ثم يستنبط خلاصتها، والاستقراء الكامل يجنب الباحث الوقوع في الخطأ الكبير الذي يترتب عليه صدور أحكام نقدية ثابتة، ولكى نرى أثر قلة الاستقراء والاستنباط، أشيع عن أبى العلاء المعرى أنه ملحد وأنه يهاجم الديانات ويستشهد الذين أشاعوا عنه ذلك ببعض من شعره، ولو أمعنوا النظر وأطالوا وقفتهم مع شعره لوجدوا أنه يريد أصحاب الديانات الذين ضلّوا عن السبيل لا الديانات نفسها، فهم يهاجمونه في قوله :

أمور تستخف بها حلومٌ ... وما يدرى الفتى لمن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى ... وإنجيل ابن مريم والزبور

فحملوا البيت الثاني على أنه تفسير للأمور التي تستخف بها العقول في البيت الأول ونسوا أن تنكير كلمة حلوم لا تشمل جميعها ولا تجزم بموافقة عقل الشاعر لذلك الحكم ـ ولم يتأملوا شعره ليجدوا أن ذلك مبتدأ وخبره في البيت التالي :

نهت أمما فما قبلت وبارت ... نصيحتها، فكل القوم بور

فيريد أن يقول : لما انصرف الناس عن نصائح هذه الكتب السماوية وأغمضوا أعينهم عن إرشادها وما تحويه من حقائق، تعرضوا للهلاك والدمار.

وهاجموا أبا العلاء ولصقوا به تقاعسه عن أداء الفروض الدينية لكرهه لها، ولو أنهم وقفوا مع قوله :

ولا تتركن ورعاً في الحياة وأدّ إلى ربك المفترض

لما كالوا له التهم ولما تورطوا في أحكام خاطئة.[1]

وأنبه إلى أن من يقرأ إنتاج الكثير من الشعراء يجد لديهم أغراضاً شعرية مختلفة المعاني ومنها ما يتنافى مع الدين والأخلاق.

فالشعراء يهيمون في كل واد من أودية الشعر، ولهم أشعار تبين منهجهم في الحياة بكل ما فيها وعلى حسب خوضهم غمارها يكون الحكم لهم أو عليهم، وذلك لما فيها من الخير والشر.

والحكم عليهم متروك لله عز وجل[2] ولا ننسى قول الله تعالى: (وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُنَ أَلَم تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَالاَ يَفعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِن بَعدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ")[3]

---

(١) انظر البحث الأدبي ومنهجه نوري شاكر الألوسي ص ٢٦، ٢٧ بتصرف ط ١٩٨٤م "دار الحرية ببغداد"

(٢) انظر : الصورة البيانية في ديوان السري الرفاء ص ٥ إلى ١٠ د / عائشة حسين فريد . مخطوط.

(٣) سورة الشعراء ٢٢٣ : ٢٢٧.

ومن هذا يتضح جلياً أن القراءة الواسعة والاستقصاء الدقيق للنصوص، والإحاطة بجميع أطرافها والاستنباط الدقيق مع بيان ما خفى من الأسباب وكمن، شرط أساسى لجودة البحث، وثمرة ذلك هو اصدار الحكم على أساس واضح، فيكون حكماً نقديا صحيحاً، وهذه الثمرة هي البلاغة وذلك الحكم النقدى مبنى على قواعدها وأساسياتها؛ لأن الأدب حقل البلاغة والبلاغة هي ثمرته الناضجة التي يتذوقها الفاهم لها، المحيط علماً بجمالها وجلالها في الأسلوب لدقة فهم التراكيب في نظم الكلام.

٢- التأمل الطويل والدقة المتناهية في التفسير :

حين يقرأ الباحث عليه أن يطيل الوقفة عند كل ما يقرأ وأن يستوعب الأفكار والآراء، ويعللهما، ثم يدّون الخلاصة، وينصرف إلى رأى قد يعرض له فيحلله، ويتبين الحقيقة بعدما تبدى على جنباتها من تيارات عرضية قد توهمه بصحتها، فعليه ألا يمر على تلك الفِكَر مرَّ الكرام دون فهم أو تأمل واستقصاء، فالاستقصاء ضرورى، فقد تجر الفكرة إلى فكرة أخرى والرأى إلى آراء، فيجب على الباحث ألا يترك نفسه في حيرة واضطراب في حكمه وتحليله واستنباطه، فمثلاً يقول الدكتور مندور : "وتلزمنا دقة التفسير في البحوث التأريخية للنحو والبلاغة والأدب ومذاهبه الفنية، وفى بحوث الشعراء وبخاصة إذا صدروا في أشعارهم عن عقائد أو أفكار فلسفية واعتزالية وغيرها وخاصية المؤلف الأدبى هى أن يثير لدى القارئ استجابات في ذوقه

واحساسه وخياله، وكلما كانت تلك الاستجابات أعمق وأوفر كان فينا الاستعداد الكامل للصوق بالمؤلف والتأثر به."(١)

وإذا كانت المذاهب الفنية والعصور الأدبية تحتاج إلى دقة في التفسير، فكذلك البحوث في تاريخ البلاغة التى تكونت فيه على مرّ الزمن، ومن يرجع إلى تاريخ البلاغة يلاحظ نص القدماء على أن المتكلمين هم الذين وضعوا في القرنين الثانى والثالث للهجرة أصول البلاغة العربية، وقد يرجع ذلك إلى ما كانوا يأخذون أنفسهم به من تلقين الشباب في البصرة كيف يفحمون خصومهم، وكيف يصوغون كلامهم صياغة تخلب ألباب سامعيهم، مما جعلهم يعالجون الموضوعين الأساسيين للبلاغة وهما : ماذا نقول ؟ وكيف ؟ على نحو ما يصور ذلك كتاب "البيان والتبين" للجاحظ، من خلال ما نثره فيه من ملاحظاته البلاغية، وملاحظات غيره من المتكلمين أمثال بشر بن المعتمر والعتّابى، وما يلبث أن يظهر في القرن الثالث الهجرى كتاب ابن المعتز "البديع"، وفيه يكتشف لأول مرة فنونه مجموعة، وهو يصور ذوقاً محافظاً معلناً في غير مواربة، تعصبه للعرب، وأن المحدثين لم ينشئوا فنون البديع إنشاء من لدن أنفسهم، فكل مالهم فيه إنما هو الإكثار من استخدام هذه الفنون التى سبقهم إليها العرب سبقاً لا شك فيه.

ويبدو أن هذه النزعة عند ابن المعتز كانت رداً على نزعة تحاول أن تتخذ من فلسفة اليونان وبلاغتهم معايير للبلاغة العربية، مما جعل البحترى يرد عليها في أشعار له معروفه، بأن الشعر لا يحتاج في قيمه البلاغية إلى منطق ولا إلى فلسفة، ورد معه عليها ابن المعتز، وهى

---

(١) البحث الأدبى ومنهجه ٣٠.

نزعة كانت تشيع في بيئة المتفلسفة، ومن قرأوا الترجمات اليونانية، بينما كانت تشيع النزعة المحافظة التى مثلها ابن المعتز في بيئة اللغويين، وكانت تتوسط بينهما نزعة معتدلة في بيئة المتكلمين التى كانت تستمع إلى ملاحظات اليونان وغيرهم في البلاغة، ولكن مع إخضاعها للفكر العربى، والنفوذ منها ومن ملاحظات تعرب أنفسهم في البيان إلى وضع قواعده التى تتفق والذوق العربى الأصيل، وقد شاع أن نظرية النظم دفعت عبد القاهر الجرجانى إلى اكتشاف علم المعانى، وقد نعجب أن نعرف أن القاضى عبد الجبار المعتزلى المتوفى قبله بنحو ستة وخمسين عاماً هو الذى هداه إليها إذ ردّ فصاحة الكلام وبلاغته إلى أدائه وصياغته التركيبية وما يشيع فيها من روابط نحوية، ذاهباً إلى أن جمال النغم والمعنى والصور البيانية تدخل في البلاغة والفصاحة ولكنها ليست ركناً أساسياً من أركانهما، فأركانهما الأساسية إنما هى الأداء وخواص التراكيب والنسب النحوية التى ينبغى أن تقاس قياساً دقيقاً، وبذلك وضع في يد عبد القاهر مفاتيح النغم الذى لحنه في كتابه "دلائل الإعجاز" مكتشفاً في تضاعيفه نظريته في المعانى.

ويحسن دائماً في بحث تاريخ البلاغة العربية أن نربط بين المباحث البلاغية والحركات الأدبية، فمثلاً يحتدم منذ القرن الرابع الهجرى بحث السرقات الشعرية، وقد يفسر ذلك بأن ضرباً من الجمود أخذ يسرى في الشعر العربى، والشعراء لم يحاولوا التفكير في موضوعات جديدة، بل ظلوا يرددون ويعيدون في الموضوعات المطروقة، وبالتالى ظلوا يكررون ما سبقهم إليه أسلافهم من المعانى والصور البيانية والبديعية، شاعرين أن أسلافهم لم يكادوا يتركون لهم

شيئاً يمكنهم أن يبتكروه أو يضيفوه، فأكبوا على ماخلفوه ينقلونه، وكل منهم يحاول حسب مهارته أن يخفى ما جلبه، حتى يظن سامعه أنه يأتى بجديد، وهو لم يأت بجديد، إنما دار وتكلف وأتعب نفسه في غير طائل، وقد وقف لهم البلاغيون والنقاد يردون أشعارهم إلى أصولها الموروثة موضحين ما نقلوه من المعانى والخواطر وصور البيان والبديع، وعلى هذا النحو يحسن أن يُفسَّر التطور التاريخى للبلاغة العربية بالتطور الأدبى، إذْ مازالت البلاغة والأدب يرتبطان ارتباطاً وثيقاً حتى انتهيا إلى الجمود والجفاف الشديد.(١)

وعلى هذا النحو لابد أن يسند البحث بتفسير يعمُّه وتفسيرات تتداخل في بنائه العام، بحيث لا يجرى الكلام على عواهنه، وإنما توضع له العلل والأسباب التى تجعل منه عملاً مترابطاً محكماً شدَّت أجزاؤه بعضها إلى بعض شداً وثيقاً، كما يسهل معرفة رأى كل على حده.

٣- البعد عن سلطان الهوى :

إذا اختار الباحث ـ على سبيل المثال ـ شخصية أديب محببة إلى قلبه ليبين الميزة البلاغية التى تتميز بها تلك الشخصية، فإن الهوى يلعب بعاطفته فيبتعد عن الحقيقة المنشودة، ويتجاهلها ويتناسى رسالته في الدقة والاعتدال في الحكم، فيغمض عينه عن المساوئ، فيجسم المحاسن غير آبه بنهاية بحثه المحتومة، ولا يخفى ذلك على الباحث في البلاغة، فمثلاً :

---

(١) انظر البحث الأدبى ص ٥٥،٥٦ بتصرف

يقول نورى شاكر :

"فقدامة بن جعفر ناقد النثر، لم يُعَد بين الناقدين الموثوق بهم لإسرافه في الجرى وراء عواطفه في أحكامه وتغلب الهوى عليه.

وهذا دعبل الخزاعى ممن تحامل على أبى تمام حيث يقول :"إن ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح."(١)

هذا وإذا كان التأثر الشخصى أمراً لا مفر منه في دراسة الموضوع ونقده فإن المعرفة الموضوعية ضرورية في هذا المجال لأنها تحد من ذلك التأثير وتراجعه وتفسره لصالحها.

والحقيقة التى ينبغى مراعاتها هى أنه ليست هناك مناهج تصلح لكل شيء، وإنما هناك مبادئ عامة وأصول فنية يكوِّن منها الباحث المنهج المناسب لموضوعه حتى تتجه خطته اتجاها سليماً رشيداً نحو غاية محددة ونتائج صحيحة.

وأضيف فأقول : إن الإنصاف والموضوعية يؤديان بالباحث إلى بعده عن الأهواء والأوهام، وعن الرغبة في التشهير بغيره، حتى ولو كان خصمه، ولا يلجأ إلى قلب الحقائق فإن قلبها رجوع عن الهدف الذى من أجله كان البحث، ولقد دعانا القرآن الكريم إلى انصاف خصومنا متى كان العدل في جانبهم فلا تنسينا الخصومة العدل، قال تعالى :"يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالقِسطِ وَلاَ يَجرِمَنَّكُمُ

---

(١) انظر البحث الأدبى ومنهجه ص ٣١

شَنَآنُ قَوم عَلَى أَلاَّ تَعدِلُوا اعدِلُواْ هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرُ بِمَا تَعمَلُونَ"[1].

فينبغى أن يتجرد الباحث من كل عنصر يفسد بحثه، وحتى تكون استجابته للبحث استجابة صحيحة فيتمتع بموضوعه تمتعاً ينتج عنه ثمرة طيبة لبعده عن الهوى الذى يُضلل صاحبه ويضعف شأن بحث ولا يمنع ذلك من أن يتحمس الباحث لموضوعه، لكن عليه أن يبين مواطن الضعف إلى جانب مواطن القوة حتى يتكامل بحثه باعداً نفسه عن سلطان الهوى بالتحيز الأعمى وعدم إنصاف الحقائق.

٤- القدرة على التحليل والتذوق :

تنشأ ملكة الباحث في القدرة على التحليل والتذوق من طول انكبابه على قراءة الشعر وآثار القدماء والمحدثين من الأدباء، ولابد أن تتكوّن عنده حاسة خفية تمكنه من تذوق النص تذوقاً سليماً حيث يشعر بأنه أثّر فيه بروعته. ولشخصيته وما يمتزج فيها من المشاعر والأحاسيس والأهواء والعادات تأثير واضح، ومن أجل ذلك يدخل في تذوقه غير قليل من معتقداته وأخلاقه وأفكاره، ويعلل الباحث هذه الأحاسيس، وينتقل من التذوق إلى العلل والأسباب انتقالاً يحلل في تضاعيفه أفكار البحث وأثره تحليلاً يوضح عناصر جماله ومدى تأثيره في النفوس وذلك عن طريق الصور البلاغية من معان وبيان وبديع، وإذا كان التذوق هو الأساس الذى يقوم عليه البحث البلاغى، فإن التحليل هو البناء كله، أو ينبغى أن يكون كذلك.

---

(١) المائدة ٨

هذا وإن كان موضوع البحث البلاغى يتناول سمة بلاغية في عصر من العصور، أو يتناول قصيدة معينة في فن ما من الفنون الشعرية، أو تحليلاً لعمل أديب، فينبغى أن يحلل العمل الأدبى إلى العناصر التى يتكون منها حتى تكون الرؤية واضحة، والمعرفة دقيقة، فعلى سبيل المثال : شعر زهير بن أبى سلمى في العصر الجاهلى يُردّ إلى التصوير ومدى العناية به، والتصوير يحلل بمعرفة الجزئيات والتفاصيل المكونة لشعره من استخدام العبارات الدالة على المعنى المطلوب إلى جانب فصاحتها وبلاغتها، ومدى جودة الصور البلاغية عن طريق التشخيص والتجسيم بالحركة واللون والصوت، ويتأتى ذلك باستخدام الصورة البيانية إلى جانب الألوان البلاغية المختلفة. وإذا أردنا أن نبين بلاغة أبى تمام، فسنرى عنده ألوان الجناس والطباق والمشاكلة والتصوير ممتزجة بحيث يتسم اللون بألوان أخرى تطوقه أو تعانقه، أو تقع في ذروته، وكأنما تتبدل هيئة اللون بما يمازجه من ألوان أخرى، ويحلل التصوير عنده، فإذا منه تدبيج وتجسيم وتشخيص، وصور خيالية مبتكرة لا تكاد تحصى.

وإلى جانب ما سبق ينبغى تحليل شخصية الأديب من خلال عمله، بحيث ترد إلى المؤثرات الداخلية، والخارجة عنه، وبعبارة أخرى، العناصر التى تحتوى حياته وآثاره وبيئته وعصره، إذ هو ثمرة الظروف الكثيرة المتشابكة التى يعيشها وكونت شخصيته وثقافته، فمنها ما يرجع إلى ظروف مجتمعه ومنها ما يرجع إلى ظروف أسرته الاقتصادية وظروف تربيته والمؤثرات الذاتية والثقافية التى ساعدت

على تكوينه، وعقيدته، وما فيه من فضائل ونقائص في حياته وعلاقاته بالناس من حوله، وأيضاً فقده لإحدى حواسه - كحاسة البصر مثلاً - إن كان فقدها، وكل ذلك بالإضافة إلى آثاره الأدبية التى تبين ملامح الشخصية، وطريقة أدائه هى موضع الموازنة والمفاضلة بينه وبين غيره، ومعرفة حسن نظمه وصحته وبلاغة عباراته وعمق خيالاته المشخصة بالاستعارات والتشبيهات ومختلف الكنايات والألوان البديعة التى أثرت في ألفاظه ومعانيه.

ومن المهم بمكان أن يلاحظ الباحث ما قد يكون قد ألم بالأديب أو رافقه من أمراض، فإن ذلك قد يكون له أثر بعيد في تحليل بعض الاتجاهات عنده أو بعض الظواهر، فلنأخذ مثلاً يوضح كيف يحلل الباحث شخصية الجاحظ، ويبين منه ما تميز به أسلوبه نتيجة ظروفه المرضية، فقد عاش مريضاً بالفالج نحو ثلاثين عاماً، ألف فيها أشهر كتبه وهى الحيوان، البيان والتبيين، والبخلاء، وغير رسالة من رسائله الكثيرة. ولا شك في أن المرض الذى أصاب الجاحظ هو السر في كثرة الاستطرادات في كتاباته، إذ هو لا يستقر عند موضوع يعرضه، فكثر عنده الخلل في الكلام، وكثر تقطيع نظامه، وكثر اضطراب نسقه وسياقه، واضطره المرض أيضاً ألا يكتب بنفسه، وأن يملى على غيره، فكان للإملاء أثر على كتاباته طبعها بطابع المحاضرة وكتب الإملاءات من حيث الإيجاز الشديد في بعض المواطن والإطناب أحياناً دون داع، وأيضاً كان حين يملى كلامه يسمع نفسه فيحاول أن يرضى سمعه وسَمْعَ من يملى عليه، مما جعله يعنى باختيار ألفاظه وجرس كلماته،

حتى يلذ اللسان كما تلذ الأسماع، وهذا سبب تموج أساليبه بالازدواج الصوتى حتى تقع من نفس السامع موقعاً حسنا. وللإملاء عنده طابع آخر هو طابع التكرار والترداد حتى يستوفى ما يريد من الأداء الموسيقى البديع.

وتتميز كتابات الجاحظ بالواقعية، وهى تتضح في عرضه الحقائق عارية دون أى حجاب يسترها، ونقْله مجتمع عصره بكل ما فيه من طهر وإثم ودين وإلحاد، وكل من فيه من طبقات عليا ووسطى ودنيا، وحكايته كلام العامة بما فيه من لحن وخطأ دون أن يصلح فيه أو يصحح أو ينقح شيئاً، وحلو عباراته من التشبيهات والاستعارات إلا ما جاء عفو الخاطر، وخلو كتاباته أيضاً من المبالغات.(١)

هذا وإذا كان الأدب هو كل النصوص الأدبية التى يصور بها الأديب مظاهر الحياة وخواطر النفس بأسلوب جميل يهز المشاعر، ويأسر القلوب، فالنقد هو دراسة هذه النصوص وبيان ما فيها من حسن وقبح وتقليد وابتكار، ويأتى التاريخ الأدبى فيقوّم تلك النصوص ويرتبها تبعاً لما بينها من صلات في الموضوع والصياغة، وعلى ضوء تسلسل تلك الصياغات يضع تاريخ التيارات العقلية والأخلاقية، وبملاحظة وجود الشبه بين بعض الألوان وبعض المناحى الفنية المتشابهة في النصوص التى من نوع أدبى واحد ومن تأليف أدباء مختلفين يضع تاريخ عصور الذوق.

---

(١) انظر : البحث الأدبى ص ٧٠ : ٧٢ بتصرف

أما البلاغة فإنها مع الأديب في أثناء نتاجه الأدبى في الأغراض المختلفة، إنها هى التى ترشده وتهديه إلى الطريق الصواب حتى يؤلف كلاما بليغاً يثير لدى القارئ أو السامع مشاعر الإعجاب والسرور، والبلاغة تأخذ بيده وترشده إلى الإنشاء البليغ وإلى الطرق والوسائل المختلفة لتأليف الكلام الفنى الجميل، فهى متقدمة الوظيفة على النقد الأدبى الذى يفترض أن الكلام قد تم إنشاؤه وانتهى منه صاحبه، ثم يعرض علينا مقاييسه للحكم للأديب أو عليه، فهو يعنى بدراسة النصوص وبمحاسبة الأديب بعد أن ترشده علوم البلاغة إلى طريق الأداء وحسن التعبير المتميز القادر على الإقناع والتأثير، وهذا ما يجب أن يراعيه الباحث المتذوق الذى يحلل بحثه تحليلاً بلاغياً.

٥- الحذر من آراء الآخرين :

حينما تقع بين يدى الباحث مخطوطات أو تآليف، ثم يرى - دون دراسة وتدقيق فيركن إلى ما تضمنته شيئاً جديداً، ويعتمد عليه، فهذا ليس بالصواب الكامل، لأننا لسنا ملزمين بما جاء به الأقدمون أو غيرهم، خاصة إن كان فيه ريبة، ومع ذلك يحكمنا التثبت من آراء غيرنا، والفهم غير المنافى للمنطق والأحداث وصدق الرواية وأمانة المؤلف، وهذا هو الإلزام بل والإلتزام، لأننا نفيد كثيراً من آراء غيرنا ونلم بما سبقونا إليه من تجارب نستطيع أن نرتب عليها ما نصل إليه، وترشدنا إلى جديد نضيفه إلى البحث، فتظهر شخصية الباحث واتجاهاته التى تتمشى مع عقيدته وتراثه، وهذا يظهر بوضوح عند البحث البلاغى في الإنتاج الأدبى لأحد الأدباء أو الشعراء.

وتطبيقاً لهذا فلقد جاء في كتاب مقدمة شرح نهج البلاغة قول لسيدنا على كرم الله وجهه: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا".

ثم يقول المؤلف تعليقاً على هذا القول : "وقد عرفت أن ذلك اشارة إلى أن الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل، وذلك يستلزم تحقق الوصول التام الذى ليس في قوة الأنبياء نيله."[1]

فمؤلف الكتاب أبو ميثم البحرانى[2] رجل متشيع وصلت درجة حبه لسيدنا على - رضى الله عنه - أن أعطاه درجة أكبر من درجات الأنبياء.

وربما أراد المؤلف المبالغة في اظهار معرفة سيدنا على بالله فأعطاه درجة عالية تصل به إلى حدِّ التفوق على الأنبياء، ولكن هذا مردود، ومن أجل ذلك يجب أن نقف حذرين من مثل هذه الآراء خاصة إذا لمست أمراً من أمور ديننا الحنيف.

حين تقع بين يدى الباحث آراء أو أساليب لم يألفها من قراءاته وثقافته فإنه يجب أن يكون حذراً فى القبول أو الرفض؛ لأن المفروض فى البحث أن أقول إن رأى غيرى صواب يحتمل الخطأ، ورأيى صواب يحتمل الخطأ، ثم أسير بعد الاقتناع بهذا الغرض فى طريق البحث لكى أصل إلى رأى فيما عرض أمام عينىَّ

وأضرب لذلك مثلاً محدداً ودقيقاً، يقودنا إلى البحث الصحيح والحكم الصائب، فقد حفظنا جميعا فى أثناء دراستنا بيت الفرزدق :

وما مثله فى الناس إلا مملكا ... أبو أمه حىّ أبوه يقاربه

---

(١) انظر : مقدمة شرح نهج البلاغة للإمام العلامة كمال الدين مثيم البحرانى "من البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على" ص ٢٠٤ تقديم وتحقيق د / عبد القادر حسين ط١ دار الشروق ١٩٨٧م.

(٢) أبو مثيم البحرانى عالم بالأدب والكلام من فقهاء الإمامية من أهل البحرين ومن مصنفاته : ما نحن بصدده، القواعد في علم الكلام، شرح المئة كلمة المنسوبة لعلى بن أبى طالب كرم الله وجه. انظر : الأعلام للزركلى ٢٩٣/٨ ط٢، أصول البلاغة لابى مثيم البحرانى تحقيق الدكتور / عبد القادر حسين ط دار الشروق.

ينصب كلمة "مملكا" وجاء كذلك فى جميع الكتب التى تحدثت عن التعقيد فى الأسلوب، ولكن يأتينا ابن شرف المتوفى فى القرن السادس الهجرى فيروى البيت هكذا(١):

وما مثله فى الناس إلاّ مملك   أبو أمه حىّ أبوه يقاربه

وأثبت محقق الكتاب المصادر التى ذكرت البيت بنصب "مملكا" ثم أثبت أن رواية الرفع هى الصحيحة؛ وذلك لأن الفرزدق تميمى، وهم لا يُعملون "ما" عمل "ليس"، ومن هنا فإن رواية النصب تكون من عمل الرواة التى كانوا يتعصبون لمذهب البصريين.

فلو أن المحقق حكم محفوظه، وما تعود عليه لكان قد ذكر الكلمة بالنصب على حسب دراساته السابقة، ولكنه توقف أمام الكلمة، وأوصلته معرفته بتميمية الفرزدق إلى الرأى الصواب.

كذلك جاء فى ذات الكتاب لابن شرف بيت لزهير حفظناه، وحفظنا ما قاله السابقون عن إعجابهم به، وتمجيدهم لفكرته، وهذا البيت هو(٢):

على مكثريهم حق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل

فقد أجمع القدماء على أن هذا البيت يمثل أفضل أنواع المدح، لأن الشاعر مدح الأغنياء والفقراء بالكرم، وأخذ اللاحقون يرددون كلام السابقين حتى جاء ابن شرف فقال كلاماً جيداً أقتطف منه قوله :

---

(١) مسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى تحقيق الدكتور النبوى شعلان ص ١٨٨ ط١ مطبعة المدنى ١٩٨٢م.

(٢) المرجع السابق ١٨١ - ١٨٤.

فأول ما ذمهم به إخباره أن فيهم مكثرين ومقلين، فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم حتى يستووا فى الحال ...." ثم يقول :

"ففى هذا القسم الأول عيوب على المكثرين : منها أنهم ضيعوا القريب، ورعوا حق الغريب، وصلة الرحم أَولى ما يُبدأ به، ومن مكارم العرب حنينها لذوى أنسابها، وذبِّها عن أحسابها، الأقرب فالأقرب، وما فضل عن ذلك فللأبعد.

ثم أخبر أن المكثرين ليس يسمحون بأكثر من الاستحقاق فى قوله:

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن أعطى الحق فإنما أنصف، ولم يتفضل بما وراء الإنصاف، والزيادة على الإنصاف أمدح، ثم أخبر فى البيت أن المقلين على قصور أيديهم أكرم طباعاً من مكثريهم على قدرتهم فى قوله :

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الإقلال مدح عظيم وإيثار ....."

هذا بالنسبة للبحث فى البلاغة، وقد تعلمنا أن نكون حذرين ونحن نقرأ بلاغة القرآن الكريم فى تفسير الزمخشرى، وذلك لأن الرجل يصب فى تفسيره آراءه الاعتزالية، كما تعلمنا أيضا أن نكون حذرين إذا قرأنا مثل ذلك فى كتاب لأحد الشيعة، ومن هنا وجب على الأستاذ دائما أن يضع طالب البحث الذى يكون فى أول الطريق على طريق الجادة، وأن ينبهه إلى مواطن الزلق، فإن لم يفعل كان مقصراً.

٦- الجدة والابتكار والأصالة :

لابد لكل بحث أن يوفق إلى الجديد من الآراء أو النتائج التى يجب أن يتوصل إليها الباحث، وإلاّ أصبح بحثه معاداً مكرراً، وإذا أخذنا مثالاً على ذلك فإن بعض الباحثين يتهيأ لهم أن البحث في القرآن الكريم لا يصل الباحث فيه إلى جديد نظراً لكثرة ما جاء حول القرآن الكريم من بحوث مختلفة، إلا أنهم نسوا أن القرآن الكريم كتاب لا تنقضى عجائبه إلى يوم الدين، ومن أراد أن ينهل من معينه ويعيش على مائدته فإن الله يوفقه إلى خير زاد يعيش به في دنياه ويدخره لأخراه، فيلجأ الباحث إلى فهم معانى القرآن الكريم ويحاول بيان ما فيه من بلاغه تؤكد أنه المرتبة العليا من البلاغة، وفى هذا تقويض لأفكار كثير من المستشرقين المغرضين، وبيان لما في القرآن الكريم من أسرار الإيمان به والعمل بأحكامه والحرص على ملازمته منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الآن وإلى يوم يبعثون، وتأكيد استمرارية المؤمن لمعايشته وحب تلاوته لتأثيره في النفوس وغزارة ما فيه من إعجاز إيمانى وعلمى ولغوى وبالوصول إلى تلك الجزئيات يتحقق على يد الباحث نتائج بقدر ما أعطاه الله من فتوحات ربانية وموهبة لغوية، وقدرة في المثابرة على البحث، والاستقراء الطويل وسعة الاطلاع ودقة التأمل في معنى اللغة، فيصل الباحث إلى بحث له أصالته ومكانته في القلوب والعقول، وليؤدى رسالته على الوجه الأكمل.

وليس الابتكار في البحوث مقصورا على كشف أشياء جديدة فقط، وإنما الترتيب للمادة ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتداء إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوين موضوع منظم من مادة متناثرة - يعتبر ابتكارا.

٧- تأثير البحث في الفكر والمجتمع :

البحث الجيد هو الذى يعالج ناحية فكرية بوضوح وسلاسلة، وسلامة قصد، ومن ثم يشير إلى مواطن الضعف والقوة، وأن يعالج ناحية اجتماعية مهمة، وأن يضم بين طياته روحاً عالية تأخذ بالفكر والمجتمع إلى النهوض، ولا تكون معاول هدم، ويمكن للباحث أن يستعرض آثار الباحثين الذين ألموا ببعض القضايا، أو ألمحوا إليها باشارات أو تنبيهات بين ثنايا بحوثهم، ومن ثم فعلى الباحث أن يبدى رأيه صريحاً مدعماً بالحجج والبراهين الواضحة غير المتأثرة بهوى لا دليل معه فيه، ويقطع برأيه الذى يراه بما يتسلح به من معلومات لغوية وبلاغية، وعلى سبيل ذلك إذا أراد الباحث أن يتناول إنتاج شاعر ليبرز بلاغته، فعليه أن يراعى أثر فكر هذا الشاعر وتأثيره في المجتمع بأفكاره التى تناولها في شعره، وكان لها أثرها على مجتمعه حيث يثير عاطفة معينة في شعره، ويبرزها قوية ومؤثرة بفضل ما فيها من جمال الأداء، وحسن التصوير البلاغى، وتطبيقاً لذلك فقد افتخر أمير الشعراء أحمد شوقى بنفسه فقال :

نحن اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرُنا ولم يهن بيد التشتيت غالينا[١]

فجعل نفسه ياقوتا، والمحن والشدائد نيراناً، ولكنها لم تؤثر فيه، ولم تنل منه شيئاً مما يدل على صلابته، وأصالة معدنه، تلك كانت نيران أحداث عظام تهد الجبال، حيث أراد خصومه النيل منه أسوأ نيل، ولكن من كان يملك مثل قلبه واحساسه وشاعريته يصعب هدمه، وإن تكاثرت المعاول وكثرت سواعد الهادمين.

---

(١) الشوقيات لأحمد شوقى ١٣١/٢ شركة فن الطباعة ١٩٤٨م المطبعة التجارية الكبرى — والقصيدة بعنوان [أندلسية] نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز مصرنا الغالية ويصف كثيراً من مشاهده ومعاهده.

ومن يقرأ هذا فإنه يتأثر ؛ لأن الناس يمرون بمصاعب الحياة المتباينة ويتعرضون للشدائد مما يجعلهم يتعايشون فى المعنى ويشاركون الشاعر في أحاسيسه وتجربته الشعورية. ومن فخره بأمجاد المصريين قوله الذى يلهب حماس قارئه لحب وطنه:

ولم يضعْ حجراً بان على حجر   فى الأرض إلا على آثار بانينا[1]

وللقارئ أن يتامل روعة خياله الباعث على تعظيم المصريين مستمداً ذلك من التشبيه والاستعارة المكنية التى جسمت وشخصت قوة البنيان وذلك في قوله :

كأن أهرامَ مصر حائطٌ نهضت   به يد الدهر لا بنيانُ فانينا[2]

وفى قوله :

كأنها ورمالاً حولها التطمت   سفينة غرقت إلا أساطينا [3]

فالشاعر يرسم صورة بديعة بيد فنان قادر على إبراز جزئيات الصورة بريشة ماهرة، حيث الأهرام تسبح في بحر الرمال التى ترتطم بسفن غيرها فتغرق جميعاً إلا أهرامنا ـ نحن المصريين ـ التى هى أساطين قوية عملاقة لا تؤثر فيها أمواج بحر الرمال، ذلك هو شوقى، وتلك بعض من ومضات أفكاره السديدة التى دافع عنها بتصوير ذكى نبع من عاطفة قوية، وأداها أحسن أداء بلغة شعرية تستمد مقوماتها من

---

(١) الشوقيات ١٣١/٢

(٢) الشوقيات ١٣٢/٢ ، والشاعر : شبه أهرام مصر بحائط شديد الصلابة بناه الزمن العريق، والاستعارة المكنية في قوله يد الدهر، حيث شبه الدهر بانسان وحذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه وهى اليد التى تبنى وتدل على القوة والقدرة.

(٣) الشوقيات ١٣٢/٢

الطبيعة التى صورها الشاعر بطريق التشبيه والاستعارة وله أعمق الأثر في أفكار مجتمعه.

إن كل أمة تعيش حياة حضارية تريد أن تحافظ على تراثها وتبعثه بين الأجيال، وتوجه ناشئيها نحو هدف سام، ولابد أن تسير وراء أهدافها، فتلتزم بتشييد صرح الحضارة بامتزاج الماضى بالحاضر، وتنمية الأفكار البانية المشيدة لصرح النهضة العلمية بالأفكار الجديدة الناهضة بالمجتمع ولغته، والحديث عن ذلك يكون له أكثر الأثر في افكار الناشئين فتتركز لديهم فكرة حب أمجادهم القديمة، ويدركون قيمة أوطانهم العريقة.

٨- الوضـــوح :

إن عمق فكرة البحث وجودة توضحيها عن طريق أسلوب جيد الصياغة سهل التعبير هو هدف الباحث؛ بحيث يشرح الفكرة شرحاً وافيا بدون استطراد مبتعداً عن الإبهام، ويجعل القارئ متشوقاً لقراءة البحث، ويشده ذلك إلى هدف الباحث بدون إكراه أو ملل، وما يحفز الباحث على ذلك، المادة الشيقة التى تخضع للعقل والمنطق والعاطفة وتعرضها بكلمات منتقاه متجانسة وملائمة للمعنى بحيث تختلف قوة ورقة حسب مواقع استعمالها، فلكل مقام مقال، ويراعى الباحث الصور المتلاحقة الآتية ـ فى أثناء تعبيراته ـ عفو الخاطر دون تكلف ولا تعقيد، فيكون الكلام أخاذاً، له جرس يشد انتباه القارئ ويشوّقه لاستمرار القراءة.

٩- اختيار الموضوع :

اختيار الباحث لموضوعه يوجد له ألفة ورغبة في الكتابة فيه، ولتحديد الموضوع أهمية قصوى في العمل على إنجاح البحث، وإن كان للمشرف على البحث مهمة كبرى، حيث يوجه الباحث إلى موضوع يخدم عقيدته وثبتها ولا يتنافى معها، ويكون له تأثيره في أفكار مجتمعه.

ويهتدى الباحث إلى موضوعه من خلال قراءاته في كتب السابقين والمتقدمين عليه، وبعد إطالة النظر والبحث فيها يستبين له ما يتفق وميوله، فاختيار الموضوع ليس بالأمر الهين، فعليه أن تتلائم اللغة التى يختار بها بحثه، والوقت الكافى لإعداده، فلا يقارن مثلاً بين بلاغة شاعرين أحدهما عربى والآخر أجنبى دون أن يجيد اللغة الأجنبية، ويكتفى بما كتب عن الأجنبى في بعض المقالات القليلة ؛ لأن في هذا ضعفاً في المراجع والمصادر يؤدى إلى خطأ فى إصدار الأحكام وقلة الاستقراء ودقة التأمل في الإنتاج الأدبى، والتى لا تؤدى إلى معرفة الأفكار الجديدة الجيدة التى تثرى البحث، ومن نتائج هذا أيضاً الخضوع لتيارات الأفكار التى لا يعرفها القارئ نظراً للضغوط والأهواء التى لا يجيد فهمها لضعف لغته، فالمصادر من أهم مقومات البحث فعليها الاعتماد حيث يستقى الباحث منها مادته، وإن لم تكن متوافرة ضاع جهد الباحث وقصّر عن المطلوب منه، وعلى الباحث ألا يتخير الموضوعات المتشابكة والواسعة الأطراف، لئلا يخفق فيها، ولا ينجز ما يتطلبه البحث، وليأخذ الباحث جزءاً من موضوع وليكن علماً من أعلام العصور المختلفة وإنتاجه الأدبى الذى أبدع فيه وتفوق فيأخذ فناً

من فنون شعره أو نثره ـ مثلاً ـ ويبين بلاغته في هذا الفن، وكيف تفوق على نظيره وعلى سبيل المثال :

فن المديح عند الشاعر أحمد شوقى وكيف مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوازن بينه وبين الشاعر البوصيرى في مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكون الموازنة عاملاً جيداً للتذوق البلاغى بين قصائد الشاعرين فى فن المديح، ومحاولة فهم اتجاهاتهما الشعرية مما يوصل الباحث إلى نتائج كثيرة وأفكار جديدة تتضح من التعمق في فهم قصائدهما، فيثرى البحث أكثر مما لو كان الحديث عاماً، فتحديد مجال البحث للباحث يجعله قادراً على التعرف على جوانبه، ويتفاعل مع أفكاره وأحداثه، فيتفرد بالابتكار والجدة ، وتظهر شخصيته في بحثه.

وتعتبر مرحلة اختيار الموضوع هى الأساس، ومن الضرر للباحث التعجل والإسراع فيها؛ فربما حدث تغيير للموضوع بعد البدء فيه، فيؤدى إلى ملل الباحث ويأسه الذى يعتبر أخطر آفة على الباحث.

١٠- شخصية الباحث :

البحث يدل على ملكة صاحبه العقلية واللغوية، وعلى ثقافة الباحث وتجاربه وذكائه وقوة بصيرته، ومن خلاله تتضح مقدرته في الصبر والمثابرة، وتظهر إرادته القوية وعزيمته الثابتة وجرأته وصراحته في ابداء آرائه، وتظهر شخصيته في سعة اطلاعه، وتتبع المعلومات والأخبار حسب الموضوع المختار، وتظهر قوة حافظته في ربطه بين أجزاء الموضوع الذى قرأه في أوقات مختلفة، وتصميمه

على الوصول إلى هدفه المنشود بدون يأس لرفض المشرف ـ على البحث ـ لفكرة استساغها، وقد تُغيّر جزئيات البحث وتعاد كتابته، فعليه ألا يضعف، ويصيبه الشك في قدرته على تكرار المحاولة، حتى يتثبت من كل ما قرأ وتوصل من أحكام. ومن الأمور التى تظهر شخصية الباحث في بحثه وتدل عليه هى تجنبه للخطأ اللغوى والنحوى والصرفى، حتى تكون لغة البحث سليمة وفصيحة، وأن يكون ملماً بالقواعد البلاغية، ويتقنها إتقاناً جيداً حتى يصل إلى درجة التذوق المراد من البحث البلاغى المطلوب.

وتتضح شخصية الباحث أيضاً من خلال اختياره للموضوع، وأيضاً في عدم انقياده لغيره من أفكار الباحثين السابقين له دون مناقشة أو دراسة دقيقة وافية.

ولنأخذ مثلاً لأستاذين في عصرنا الحديث تناولا موضوعاً واحداً هو تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وتطورها، ولكنهما قد عالجا الموضوع بطريقة مختلفة تنم عن شخصية كل باحث منهما، ولكنهما في النهاية يصبان في معين واحد، يقول أولهما في مقدمة كتابه : (١)

"وعلوم البلاغة إذا وعاها المسلم سار في طريق الإيمان حيث تبرز له عناصر الإعجاز القرآنى من جهة ما خص الله به القرآن الكريم من حسن التأليف، وبراعة التركيب وما شحنه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق

---

(١) تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ص ٥،٤ ط١ ١٩٧٨م دار الطباعة المحمدية.

الطلاوة، مع سهولة الكلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها فيزداد إيماناً بأن القرآن من عند الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغ عن ربه وتقرباً إلى الله جل وعلا، ثم خدمة للغتنا العربية لغة القرآن الكريم، كتبت تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية ثوخيت فيها السهولة والوضوح ووقفت مستأنياً أمام سر نشأة هذه العلوم ووضحت المناخ الذى نشأت فيه، وسرت مع أطوارها نشأة ونمواً وازدهاراً وجموداً ثم نهوضاً وانتعاشاً.

وبيان أطوار نشأة البلاغة عامل قوى في تجديدها إذ تضع ماضينا البلاغى بكل ما فيه من تجارب ماثلاً أمام مكتسبات حاضرنا ومعطياته ليكون تجديدنا البلاغى المعاصر قائما على دعائم قوية ومتفقاً مع روح العصر الذى نعيش فيه."

ويقول الآخر في مقدمة كتابه :[1]

"هذا كتاب موجز عن تاريخ البلاغة منذ أن نشأت وشقت طريقها نحو النمو والازدهار إلى أن أصبحت علماً له قواعده وضوابطه وأحكامه وقوانينه.

وقد كان لزاماً علينا أن نعرض في جملة التطور لقضية الإعجاز القرآنى، وما أثارته من دراسات بلاغية كان لها أعظم الأثر في تناول الآيات القرآنية، واستنباط القوانين الجمالية، مما دفع بالبلاغة وقوانينها أشواطاً بعيدة نحو النضج والترقى.

---

(١) المختصر فى تاريخ البلاغة للدكتور عبد القادر حسين ص ٥،٦ ط١ ١٩٨٢ دار الشروق.

ومن خلال هذا التاريخ نرى طوائف متعددة أسهمت في صنع تاريخ البلاغة فكان لكل طائفة اتجاهها المعين، ومشربها الخاص، ولم تكن هذه الاتجاهات متضاربة، متنافرة بقدر ما كانت متضافرة متآخية، تسير في قنوات مختلفة، ولكنها في النهاية تصب في مجرى واحد، هو محاولة وضع القواعد البلاغية على أسس واضحة نهتدى بها في الحكم على النص الأدبى.

هذه الطوائف المتعددة تبلورت في مدرستين كبيرتين هما :

المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية، ولكل مدرسة منهما خصائصها المميزة، ومنهاجها المنفرد، وإن كان بعض أعلام البلاغة قد مزج بين خصائص المدرستين في تناوله للقضايا البلاغية، فكان أقرب مدخلاً وأجدى نفعاً من التطرف إلى هذه المدرسة أو تلك.

وقد تكونت من هذه الجهود المشتركة ما يمكن أن نطلق عليه تاريخ علم البلاغة، الذى تتبعنا خطاه في صبر وأناة لنلم بأطرافه كافة دون أن تفلت منا مرحلة من مراحل التطور أو ينأى عن علم من الأعلام الذين كان لهم شأن في صنع هذا التاريخ.

لقد تخيرت من مقدمة كتاب كل باحث منهما ما يدل على تميز شخصيته، والمقدمة تنطق بذلك التميز الذى يظهر عيانا للقارئ، بل إنه يجد من نفسه شغفاً لأن يطلع على الكتابين برغم اتحاد الموضوع إلا أن سبلهما تتميز بالبحث الجاد والمعلومات الكثيرة التى تدل على سعة الاطلاع وكثرة التأمل ودقة التفسير لظواهر الأمور، والإدلاء بالآراء الشخصية واضحة في تضاعيف الكتابين، ويتسم أسلوبهما بالوضوح

والسلاسة مما يسهل على القارئ فهم الموضوع والوصول إلى الهدف في يسر وسهولة.

هذا ولقد كانت خاتمة كتاب الأول ذات توصية توضح اهتمامه بنتائج الكتاب الذى يأمل أن يتحقق وهى رغبته في تشجيع التأليف البلاغى الذى يسير على منهج الشيخ عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى، ويسهم إسهاماً قوياً في إبراز عناصر الجمال في الأدب العربى بعامة.

أما ما جاء في نهايات كتاب المؤلف الثانى حينما تحدث عن الطوفى البغدادى فقد ذكر في تعقيبه على علم البيان عنده، أن الطوفى البغدادى ذكر من أنواع علم البيان المعنوية تسعة وعشرين نوعاً، ولم يعرض لها جميعاً، فما تركه تركه لأنه لا يتعلق بالقرآن وبيانه وبلاغته مما لا يحتاج إليه من يتعرض لتفسير القرآن الكريم، وختم المؤلف كتابه بالحديث عن شهاب الدين محمود الحلبى، الذى أوجز إيجازاً شديداً في حديثه عن البلاغة وعلمى المعانى والبيان ليبيح لنفسه مجالاً للتوسع في علم البديع، فقد توسع فيه توسعاً شديداً حتى إنه طغى على الكتاب كله فعرض ستة وثمانين فناً من فنونه المعروفة في عصره وقبل عصره، يعرض لكل نوع منها بالتعريف والشواهد المتعددة وشرحها في أسلوب تعليمى سهل بعيد عن التكلف والتعقيد متوخياً الفائدة للمتعلمين والناشئين.

والمؤلف بهذا يهتم بما يخدم القرآن الكريم من بلاغة تتضح من أسلوبه المعجز، ومحاولة توضيح ذلك عن طريق علم البيان، ويهتم

أيضاً بمن يرسون قواعد علم البلاغة لطالبى علمها، حتى يسهل عليهم تعلمها فتؤدى الغرض السابق ذكره من بيان بلاغة القرآن الكريم.

والمؤلف بهذا التلميح وتلك الإشارة البعيدة يفهم الدارس المتخصص، والمدقق في فهم كتابه ما سبق بيانه دون ذكر صريح في خاتمة لكتابه، وهذا ما يوضح اختلاف شخصية كل باحث.

وبطريقة جيدة تميزت فيها شخصية أستاذ آخر[1] حيث لفت انتباهه أسئلة تدور في ذهن المشتغل بالبلاغة، وهى : متى نشأت الفنون البلاغية؟ وما الدوافع لنشأتها؟ وأى المصطلحات البلاغية كان أسبق في الظهور؟ ومَن العلماء الذين كان لهم فضل السبق وفضل ابتكار هذه المصطلحات وتلك الموضوعات، التى ثبتت أصولها وتفرعت أغصانها ووضعت فيها المؤلفات؟ وبقراءة ذلك الكتاب - نشأة الفنون البلاغية - يضع القارئ يديه على الإجابة فيزول الشك ويثبت اليقين فيرى الفن البلاغى من مولده حتى استوى على سوقه، كما يرى العلماء الذين اتسموا بالذوق البلاغى الرفيع فوضعوا اللبنات الأولى في صرح هذه الفنون خالية من كل تعقيد، وخالية مما يشوب جمالها، مما كتب لهم الخلود، والكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب : هى علوم البلاغة المعانى، والبيان، والبديع، وكل باب يشتمل على فنونه البلاغية الأصيلة، مما يخدم باحث البلاغة خدمة جليلة، فيوفر جهداً كثيراً ووقتاً كبيراً.

ولقد رجع المؤلف في إثبات نشأة هذه الفنون البلاغية إلى أمهات الكتب العربية التى يجدها القارئ مثبتة في نهاية الكتاب، وفى هامش صفحاته.

---

(١) نشأة الفنون البلاغية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول - المقدمة - مطبعة لطفى ط١ ١٩٨٨م.

ولا ننسى أن الدافع وراء كل ذلك هو الغاية العظمى التى اتجه من أجلها كل من اشتغل بالبلاغة وهى فهم إعجاز القرآن الكريم، فلا سبيل لفهم أساليبه الرفيعة إلا بطريق البلاغة، وشاعت الفكرة التى تبين إعجاز القرآن الكريم الذى لا يفهم إلا عن طريق علوم البلاغة، فحفزت هذه الفكرة الكثير من الباحثين، وكان من حسن حظ البلاغة أن المناقشة في الإعجاز، وفهم آيات العقائد قد روجت سوق البحث البلاغى، فظهرت الفنون البلاغية، ونشط لذلك المتكلمون وأخذوا يبحثون في بلاغة القرآن الكريم والتعرف على أساليبه، وكيف استدلوا بآياته على المنكرين أو المشككين وغذوا أفكارهم بالمعانى القرآنية التى تعد في ذروة البلاغة، فالهدف من دراسة البلاغة هو هدف دينى، ولهذا جعلت البلاغة أولى العلوم بالتعلم، وعكف الجميع على تبيان ذلك مع فضل العلماء ـ قديما وحديثاً ـ في إيضاح ذلك على مختلف شخصياتهم وطرق أدائهم، وعلى مر العصور حيث تطورت الأفكار، واختلفت باختلاف الأزمان والاحداث.

وعلى جانب آخر تتضح شخصية الباحث كما رأينا في "أثر النحاة في البحث البلاغى"[1] حيث يبين المؤلف نشأة البلاغة وتطورها حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، على أيدى النحاة ويجعلهم أصحاب الفضل الأول في ذلك، على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة ضمن مباحثهم النحوية، ثم أتيح لمن أعقبهم أن يصوغ من هذه النظرات العابرة قواعد بلاغية ذات صبغة علمية، وأسوق مثلاً على ذلك مما يشير إليه المؤلف، أنه رسخ في أذهان الباحثين عن نشأة

---

(١) انظر : أثر النحاة في البحث البلاغى للدكتور عبد القادر حسين ـ المقدمة ـ من ص ٣-٨ دار نهضة مصر القاهرة.

البلاغة وتطورها أن أبا عبيدة هو أول من تناول البلاغة بالحديث، ولعل الذى أغراهم بهذه المجازفة في القول مصنفه "مجاز القرآن" الذى يحمل عنواناً بلاغياً صرفا، ومن ثم أغفل الباحثون الحديث عن الفترة التى سبقت أبا عبيدة، ولم يتناولوا بالبحث آراء الخليل البلاغية ولم يضمنوها أبحاثهم وكذلك سيبويه.

وهذا جديد طريف يبين شخصية المؤلف واتجاهه لزاوية جديدة في البحث، وموضوع الكتاب تأريخ للتقعيد البلاغى منذ طفولته من الجاهلية حتى نضجه في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مما عكس آثاره الباقية على العصور المتأخرة وعصرنا الحالى، هذا ولم يقف المؤلف عند حدود العرض، وإنما أراد أن يكون ذلك سبيلاً إلى الدراسة والتحليل، وربط بين الشخصيات بعضها وبعض ليسجل خطوات نشأة القواعد البلاغية وتدرجها عبر القرون باعتبار أن العلم أو الفن جهد إنسانى متصل.

ومما سبق من عرضى لطريقة المؤلفين السابقين لموضوع واحد في تاريخ نشأة البلاغة أستطيع أن أقول إن فكرتهم ظهرت واضحة، وكانت لديهم مقدرة ذكية على بسطها وإيضاحها وصياغتها بأسلوب علمى، فظهر المعنى بأجمل صورة للفظ، فوصل ذلك إلى العقل والقلب، مما يشعر القارئ بفائدة عادت عليه من قراءته لتلك الكتب، مع تنويع وتجديد في فكرة الموضوع الواحد الذى تناولوه بالبحث من جوانب مختلفة، ولكل قارئ أيضاً شخصيته المستقلة التى تفضل ما يحلولها من قراءة موضوعات مختلفة، أو موضوع واحد لكتاب مختلفين، فتسعد بأفكار الكاتب وتشعر بأهميتها.

١١- تنسيق مواد البحث مع عرضها وحسن أدائها :

بعد جمع الباحث لمادة بحثه ، يجب أن يرتبها وينسقها، ويضعها في فصول منظمة، بحيث لا يُدخل حشواً، ولا يحشر كل ما جمعه من مادة لشعوره بالتعب والجهد الكبير الذى بذله في جمعها، لأن ذلك يجعل البحث مكتظاً، وفيه الكثير من الحشو المخل بالبلاغة، وعليه أن يوازن ويختار ما يُقَوِّم البحث، ويجعله سليماً بدون حشو أو تطويل، وأن يضع مادته التى اختارها في أبواب وفصول مترابطة، وكأن البحث حلقات في سلسلة منتظمة بحيث تصبح كل فكرة جزءاً من البناء المتكامل في موضوع البحث، ويجب أن يراعى الكلام الذى ينسج به بحثه، حيث لا يلقى عفواً، بل يراعى فصاحة الكلمة وخلوها مما يشوبها من عيوب الفصاحة، ويبتعد عن الغموض والخطأ اللغوى والغرابة والتعقيد المعنوى أو اللفظى، فحديثه عن البلاغة يجعله أولى الباحثين في مراعاة ذلك، ولابد للباحث أن تتوفر له المقدرة على دقة عرض بحثه، فتكون للبحث مقدمته ثم التمهيد، ثم الموضوع، فالنتائج أو الخاتمة، وكل هذا يتسم بالوضوح، وعلى الباحث أن يتحرى الدقة في اختيار العناوين التى تتلائم معها الأفكار.

ومجمل القول أن البحث المتكامل هو الذى يستوعب فيه الباحث مادته، ويحيط بها وينسقها تنسيقاً جيداً وجديداً، مع مراعاة الأداء الجيد الذى يتم بمعرفة دلالات الألفاظ التى يجب أن يستعملها بدقة، مع سهولة في الأسلوب، وعذوبة في العبارات التى تؤدى إلى الأفكار، متوخياً الإفصاح والبيان، معرضاً عن التكلف والتعقيد، ولابد للباحث من المقدرة على النقد والتذوق البلاغى مما يوجب عليه الاستيعاب الجيد لقواعد البلاغة والأحكام والأسس النقدية، هذا إلى جانب الملكات

الخصبة لذلك، ومما هو ضرورى في صياغة البحث وحسن أدائـه عدم التكلف في الأسلوب، فلا يستخدم السجع إلا ما جاء عفواً، ولا يتعمد إيجاد الصور البيانية إلا بما ناسب الموضوع ويتحاشى ما يجره منها إلىأخيلة معقدة، وحتى لا تؤدى به إلى استخدام صور محفوظة تكون فى غير موضعها فتصبح ممجوجة.

ومن أهم ما يميز الباحث عن غير مقدرته على جذب انتباه القارئ وتشويقه، بحيث يقبل على القراءة إقبالا، ويساعده فى ذلك براعة استهلال موضوعه، مع حسن تخلصه من فكرة إلى أخرى حتى ينتهى به المقام إلى حسن الانتهاء.

١٢- عنوان الموضوع :

يتخير الباحث عنوان الموضوع الذى يسير فيه بحثاً عن جوانبه المضيئة وكنوزه الكثيرة، فيكون مشوّقاً جذّاباً، يشد اهتمام القارئ إليه لمحاولة معرفة الكثير عنه، فيسعى وراء الفكرة والدراسة التى أراد تقصيها من خلال ذلك العنوان، وشموليته للموضوع، وجاذبيته تعمل على دوام وشهرة هذا العمل، وتبعده عن النسيان الذى قد يكون لبعض العناوين الضعيفة أو غير المشوقة.

١٣- الخطـــة :

هى ترتيب الباحث لأفكار موضوعه فى أبواب وفصول تشمله، وتظهر شخصية الباحث فيها، وهى تبرز شخصية الباحث، وتوضح الموضوع، ويلزم ترتيب موادها حسب أهميتها للموضوع، وتخضع أبوابها وفصولها فى تنظيمها لأساس سليم

وفكرة منظمة، وينبغى أن يجمع كل باب عدداً من الفصول، وكل فصل يقسم إلى أجزاء، ويستقل كل جزء بمادته العلمية حتى تتضح حدوده وتظهر معالمه، ويهتم بالرابط الذى يربط بين الأجزاء ومحتوياتها بأن يكون بيّناً واضحاً بحيث لا يشعر القارئ بانفصال جزء عن آخر وعدم ترابط بين الأفكار.

وليس هناك ما يمنع الباحث من التغيير والتبديل فى الخطة، والخطة المبتكرة تتطلب الجهد والمثابرة لأنها يجب أن تأتى مناسبة ومقبولة وصحيحة، فهى الأساس الذى يقوم عليه البحث وفيها يظهر علم الباحث وتركيزه وقوة بصيرته فى فهم موضوع البحث.

وإطالة البحث بإسراف قد يعرضه للفشل، وذلك لعدم التركيز والتنسيق، لكثرة التفاصيل التى لا تدعو إليها الحاجة، وهذا يتطلب من الباحث أن يتقيد بمقدمة وتمهيد، ثم عرض للأبواب الخاصة بالموضوع المدروس، فالخاتمة، وأخيراً المصادر والمراجع وبعد ذلك الفهارس.

وفى حديثه عن التمهيد، فإنه يختلف باختلاف الموضوعات، فإن كان حديثه مثلاً عن تبيان البلاغة فى شعر شاعر ما أو كاتب، فعليه أن يتحدث عن حياة ذلك الشاعر أو الأديب ويدرس الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية ليتبين أثر ذلك بوضوح على الموضوع؛ لأن الأديب يتأثر بالأجواء المحيطة به والبيئة التى أثرت فى شعره أو كتابته وصقلت مواهبه وانضجت عقله فشكّلت قلمه، ولكن على دارس البلاغة أن يأخذ ذلك بقدر، والأمثلة على ذلك كثيرة الآن فى المكتبة البلاغية حيث نهج الدارسون منهجاً تطبيقياً على المسائل

البلاغية فى دواوين الشعر مثل : التشبيه فى ديوان امرئ القيس[(١)]، التشبيه فى ديوان الصنوبرى[(٢)]، الصورة الفنية فى ديوان شوقى[(٣)]، الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء[(٤)] وغير ذلك كثير.

أما فى حديث الباحث عن أبواب الموضوع، فهى ترتب حسب ما يقتضيه تنسيق البحث، فالباب الأول ويليه الباب الثانى فالثالث وهكذا، وكل باب يضم فصولاً حسب ما تقتضيه جزئيات البحث، وكل فصل يعالج ناحية بذاتها إلى أن تتكامل جزئيات الموضوع حتى يصل إلى الخاتمة ففيها تلخيص وبيان لما وصل إليه الباحث من جديد فى موضوعه.

١٤- المصادر والمراجع :

للمصادر والمراجع أهمية قصوى فى اعداد موضوع الباحث، وأهمها المخطوطات ثم المطبوعات والمعاجم، ومما يساعد الباحث على اعدادها هو كثرة القراءة والاطلاع على ماله علاقة بالموضوع فى موسوعات وتآليف كبيرة ودوائر المعارف العالمية التى تناولت الموضوع، فيتعرف على الأشخاص والأماكن التى لها به صلة

---

(١) انظر : التشبيه فى ديوان امرئ القيس للدكتورة زينب عبد الجواد رزق رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

(٢) انظر : التشبيه فى ديوان الصوبرى للدكتورة عائشة حسين فريد رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بجامعة الازهر.

(٣) انظر : الصورة الفنية عند أحمد شوقى للدكتورة عزيزة الصيفى رسالة ماجستير فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بجامعة الازهر.

(٤) انظر : الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء للدكتورة عائشة حسين فريد رسالة دكتوراه فى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بجامعة الازهر.

والمراجع القديمة التي تزخر بها المكتبة العربية، ويستفيد الباحث أيضاً من الكتب الحديثة لمعرفة المراجع الأصلية التي يهتدى إليها الباحث نتيجة وقوفه على الحواشي والتذييلات والهوامش.

وقد يلجأ الباحث إلى من له خبرة بالموضوع ليرشده إلى تنظيم أمور سيره في البحث وليستفيد بخبرته، وليس هذا فقط بل إنه يطلع على فهارس المكتبات المختلفة؛ ليقف على المادة التي يبحث عنها ويريد تجميعها، ولا يقصر في الاطلاع على المعاجم اللغوية مثل : لسان العرب لابن منظور والمعجم الوسيط ومختار الصحاح، وكتب التراجم، وتعد المصادر والمراجع المنبع لما يثبِّت البحث ويدعمه، والمراجع تكون لعامة طالبي المعرفة، أما المصادر فهي للمتخصصين حيث يستقي منها المعلومات وبعض الأحكام للسابقين ومنها على سبيل المثال : شروح التلخيص، الطراز للعلوي، مفتاح العلوم للسكاكي، المطول على التلخيص، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وله أيضاً أسرار البلاغة، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، الإيضاح للخطيب القزويني وغير ذلك كثير.[(١)]

ومن المصادر التي يعتمد عليها أيضاً، وفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، ومعاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ويتيمة الدهر للثعالبي، ومعجم الأدباء،

---

(١) انظر : الجزء الخاص بالكتب البلاغية في أي مكتبة عربية، والتي تحدثت عن أكثرها في هذا الكتاب من ص ٦١ : ١٢٩.

ومعجم البلدان لياقوت الحموى، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة والأعلام للزركلى ... إلى غير ذلك من المصادر، ولكل مصدر أهميته من حيث معاصرته للشاعر أو الأديب أو العالم المبحوث عنه، ومن حيث الوثوق بمؤلفه فى سرده للأحداث وتحليله للنتاج، ومن حيث خلقه وسيرته واعتدال حكمه والأمانة التى تبعد عن الشطط فى الأحكام.

وعلى الباحث أن يطلع بفهم ودقة على قوائم بأسماء المصادر والمراجع، لينقل ما يستشهد به حرفياً دون تعليق ليصبح بإمكانه النقد وذلك للخروج بالحكم الصحيح حيث يدون رقم الجزء مع اسم الكتاب ومؤلفه والصفحة المنقول منها، ومكان وتاريخ طبعه، ويلاحظ أن بعض الكتب يُشار لبعض محتوياتها، وعنوان الفكرة التى أفاد منها الباحث، وذلك حسب ما يقتضيه الأمر، وإذا عرضت للباحث فكرة أو فائدة تخص فصلاً آخر فعليه ألا يتركها، بل يرجع ويؤشر عليها ويبادر إلى تدوينها فى مكانها؛ لئلا تضيع منه وتنقص الإفادة.

١٥- مرحلة : تدوين المعلومات :

بعد جمع الباحث للمعلومات التى تتصل ببحثه اتصالاً وثيقاً يجب أن تكون قراءته واعية فيدرك الأخطاء المطبعية التى تشكل الفهم أحياناً، ويوازن أو يقارن، وينتقى أجود الثمار من الكتب التى قرأها ويسجلها باحدى الطريقتين الآتيتين :

أ ـ إعداد البطاقات :

يبدأ الباحث فى قراءة المصادر والمراجع التى لها صلة بموضوعه، فيأخذ كل ما يهم موضوعه، ويدون مادته فى بطاقات

بصورة منظمة، فكل بطاقة تختص بجزء من باب من أبواب البحث أو فصل من فصوله، وبعد الانتهاء من تلك المرحلة تبدأ مرحلة الفرز والتوزيع على الأبواب والفصول بدقة متناهية، ويكتب عليها عنوان الفصل أو الباب.

ب ـ طريقة الملفات (الدوسيه) :

ويمكن للباحث أن يستخدم طريقة أخرى تساعده على جمع المعلومات ومراجعها، وهى تسجيل المعلومات فى أوراق توضع فى دوسيه خاص بكل باب، وبهذا يسهل على الباحث قيامه بكتابة موضوعه بعد أن توفرت المعلومات عنه.

ومن السهل على الباحث أن يعيد ترتيب أوراق الدوسيه، كما أنه من السهل أيضاً أن يستغنى عن بعضها أو أن يضيف إليها أوراقاً جديدة فى أماكنها المناسبة.

١٦ – كتابة البحث :

إن مرحلة الكتابة على جانب كبير من الأهمية، وفيها مشقة بالغة، لأن الباحث يتحير ويتردد فيما جمع من معلومات أيها يكتب، أيها يترك؛ حيث يصعب كتابتها كلها فى بحثه، ومما يزيد من حيرة الباحث كون بحثه مطروقاً من غيره فى ناحية معينة، وهنا عليه أن يختار الطريف والمفيد، فيتبلور الموضوع أمام عينيه ويتضح، ولنتذكر مثلاً موضوع تاريخ نشأة البلاغة العربية التى تناولها الكثير من الباحثين وعرضوها عرضاً يختلف باختلاف شخصية عارضها[1].

---

(١) انظر : شخصية الباحث رقم ١٠ من هذا البحث ص٣٧.

وأثناء كتابة البحث يراعى الباحث النصوص التى نقلها، فله أن يدلى برأى فيها، على أن يكون مؤيداً بالحجج والبراهين التى لا وهن فيها ولا إبهام، وهو مسئول عن كل ما يدونه فى بحثه، فلا ينقل عن شخص مستسلماً لآرائه، دون أن يبرز شخصيته، مهما كانت مكانة الشخص العلمية ـ وذلك على أساس علمى سليم ـ ولكن بأدب وخلق؛ لأن الخلق الكريم والترفع عن الهجوم الدنئ، والالتزام بذلك سياج قوى للبحث، يَصُدُّ فيصد عن الباحث الطامعين، فيه فلا يغريهم به.

وعلى الباحث أن يعنى بدقة الاقتباس من المصادر الأصلية المؤتمنة، وبدقة النقل والتآلف بين المقتبس وما قبله من الكلام، شريطة ألاّ تطغى كثرة الاقتباس على شخصية الباحث، ويمكن له أن يقدم لكل باب أو فصل بمقدمة موجزة تستوعب أفكار الباب أو الفصل، ويجب أن يكون واضحاً فى عرض ما توصل إليه، ويتجنب الإيجاز المخل، ويحذر الحشو والتطويل، فهذا يفسد تماسك الموضوع ويذهب برونقه.

ومما هو جدير بالذكر الاهتمام بالقواعد اللغوية والإملائية، فلا يجمل به أن يقع فى أخطاء من هذا القبيل، ويستحسن الخط الجميل فى أسطر منظمة بينها فواصل لتسهل القراءة، ويعتنى بتدوين كل فكرة فى فقرة جديدة ليكون ذلك تنبيهاً للقارئ، ويدل على أن كاتب البحث يتمتع بعقلية علمية ناضجة ومنظمة، وقد يستعين إذ ذاك بوضع سهم يشير إلى موضع الزيادة التى مثلت أمام عينيه أو يكتب على ورقة مستقلة وتوضع فى أسفل الورقة الرئيسية مع إشارة تدل على ذلك، أو يعمد إلى كتابة الورقة كلها من جديد، فذلك خير من الهوامش الكثيرة.

ومما هو جدير بالذكر عليه أن يتخذ خطوات هامة فى كتابته لبحثه وترتيبه وهى :

أ - الترقيم : وهذا ركن أساسى فى تنظيم البحث وترتيبه، وتوضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة تبدأ برقم (١)، وتوضع فى أسفل كل صفحة هوامشها، ويوضع رقم مسلسل متصل للبحث كله ويبدأ برقم (١) ويستمر إلى نهاية البحث، وأحياناً يبدأ الباحث برقم (١) إلى نهاية كل باب أو فصل على حدة، وهذا يتوقف على طبيعة أفكار أبواب بحثه، وهذا مهم، لما يتوقف عليه الفهم فى بعض الأحايين، خاصة فى عصرنا الحديث الذى تميز بالرغبة فى سرعة الانتهاء من قراءة الكتاب أو البحث، والرغبة أيضاً فى استقلالية الأفكار التى يحتويها البحث، وإن كانت متصلة بالموضوع إلا أنها تبرز جانباً مضيئاً يعتمد عليه القارئ فى فهم ركن من أركان الموضوع، ويراعى فى الهوامش أيضاً الإيضاحات التى قد ترد فى صلب الرسالة لأنها غير أساسية فيها، وتوجيه الباحث للقارئ إلى مكان فى المؤلَّف قد وضحت فيه نقطة ما، أو جاءت فيه تفاصيل عنها.

ب - الفهارس : أما الفهارس فهى دليل محتويات الموضوع الذى تخيره الباحث ودرسه إلى أن وصل إلى نتائجه، وهى خاتمته، وسجل مصادره ومراجعه، ثم أتى بإثبات ذلك فى فهرس يحتوى على رقم الصفحة والصفحات التى يحتويها الموضوع، والفهارس مختلفة الأنواع، وترتب على النحو التالى:

فهناك فهرس للآيات القرآنية الكريمة ثم الأحاديث النبوية الشريفة ثم الأمثال ثم القوافى، ثم فهرس الأعلام، ثم فهرس

المـدن والأمـاكن والأنهـار، وفهـرس القبـائل، والأحـداث والسـنين، والمصطلحـات البلاغيـة، والمصـادر والمراجـع، وقـد لا يحتـاج كـل بحث إلى كل هذه الأنـواع من الفهارس.

جـ ـ الإشـارة إلـى المصادر والمراجع : مـن الأمانـة العلميـة أن يشـير الباحث إلى المصـادر التـى استعـان بها فى بحثـه ويتم هـذا بطريقة من الطرق الآتية :

١ـ الإشـارة إلى المصـادر فـى الهوامش السفلى أولا بـأول فـى صفحات البحث المختلفـة، ويمكـن وضـع قائمـة بمصـادر كـل فصـل أو جزء فى نهايته.

٢- وضـع قائمـة واحـدة بالمصـادر فـى نهايـة البحـث، وهـذه هـى الطريقـة المألوفـة والمتبعـة، وهـذه المصـادر تسـاعد القـارئ الـذى يريـد أن يتوسـع أو أن يقـرأ كتابـاً أعجبـه منهـا[١]. وعلـى البـاحث أن يسجلها علـى حسب الترتيب الهجـائى.

د ـ المقدمـة : وتكـون فـى أول البحـث، وفيهـا يبيـن الكـاتب السبب الـذى من أجلـه كتب هـذا البحـث، والدوافـع التـى جعلتـه يقـدم علـى ذلـك الموضـوع.

وفـى المقدمـة يـتراءى للبـاحث توضيـح أهميـة الموضـوع وتحليل لفكـرة البحـث وطبيعتـه العلميـة، ولابـد أن يوضـح صـورة للخطـة العلميـة التى يسير عليهـا، ومـا وصـل إليـه قبـل أن يخطـو

---

(١) انظر : فـى المكتبـة العربيـة للدكتـور حمـزة الدمـرداش زغلـول ص ١٧، ١٨ط ١ ١٩٨٠م دار الطباعة المحمدية.

ببحثه خطوات إلى الأمام، فيعطي للقارئ فكرة عنه وعن أبوابه وفصوله والمراجع التي ساعدته على الكتابة، وهل كانت ميسورة أو غير موجودة ؟ والصعاب التي واجهته أثناء الكتابة وكيف ذللها؟.

ثم يشير للمصادر التي استقى منها مادته ومعلوماته مركِّزاً على الأهم منها، ذاكراً صلة تلك المصادر ببعضها، وأقربها زمنياً إلى الموضوع والتي اعتمد عليها وتقدم بها على غيرها، هذا وإذا توفر للكاتب براعة استهلال موضوعه عن طريق المقدمة، فإنه سيحظى بشغف القارئ وتشوقه، ثم يختم المقدمة راجياً أن يكون بحثه في مستوى أفضل وأجود وأن ينتفع به من يطلع عليه.

أما الحديث عن التمهيد، فإنه يختلف باختلاف الموضوعات ويكون حسب ما يحتاجه الموضوع ويخدمه.

هـ ـ الخاتمة : وتكون في نهاية البحث وقبل كتابة المصادر والمراجع، وفيها يسجل الكاتب المبتكرات العلمية التي توصل إليها أثناء بحثه، وتكتب على حسب أهميتها وجودتها وقيمتها في نظره، وهي تعطي صورة موجزة للقارئ عن فائدة البحث وأهميته، ولابد أن تحظى بالعناية الكبيرة في التنظيم وجمال الأسلوب، حيث يبقى أثرها في نفس القارئ، فيشعر بحسن الانتهاء الذي يشوقه للموضوع، ويدفعه إلى قراءة الموضوع مفصلاً لما تركه حسن الخاتمة من أثر طيب في النفس، لأن من القارئين مَنْ يحب الاطلاع السريع، نظراً لضيق الوقت، أو لحب المعرفة بأكبر قدر من الكتب.



الفصل الثاني:

أولاً : المعاجم أو القواميس العربية.

ثانياً : معاجم التراجم والسير.



ولتكمل الفائدة من التعرف على خطوات كتابة بحث بلاغي على أساس قويم، فإنه يجب على القارئ أن يتعرف على أهم ما يحتاجه ويستخدمه من معاجم عربية أو معاجم التراجم والسير والموسوعات العربية.

أولاً : المعاجم أو القواميس العربية :

المعاجم أو القواميس هي المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات الخاصة بالكلمات من حيث النطق والتركيب والمعنى والأصل وغير ذلك.

ويطلق "المعجم" اليوم على كل كتاب يجمع مفردات اللغة، ومرتب على حروف الهجاء، وقد يسمى المعجم قاموساً، فالكلمتان يمكن اعتبارهما مترادفتين، وتحتاج المعاجم إلى إلمام كاف بالقواعد الصرفية واللغوية ودقائق علم الاشتقاق، والمقدرة على رد الكلمات إلى أصولها الثلاثية، فإذا أراد الباحث معرفة معنى كلمة "استنشاق" مثلاً فإنه يجدها في مادة "نشق" أو كلمة "استعمار" فإنه يجدها في مادة "عمر" وكلمة "محيط" في مادة "حوط" فالترتيب فيها أو في الغالبية العظمى منها على أساس الفعل المجرد الثلاثي للكلمة.

إن من يفهم ما يقرأ يكون على قدر كبير من المعرفة، وتكون لديه القدرة على التعبير في المناسبات المختلفة بالألفاظ والكلمات التي يعرف معانيها ويملك زمامها، وكلما كانت عنده ثروة لغوية فإن قدرته على الكتابة والفهم تكون أقوى وأكبر من قدرة غيره.

وربما يتوقف معنى الجملة على معنى كلمة واحدة غريبة لا يفهمها القارئ، وقد تكون هذه الكلمة مفتاح الأفكار في العبارة أو الفقرة، لذا يجب على الباحث أن يعرف معنى كل كلمة تمر عليه بالبحث عنها في أحد معاجم اللغة التى يجب أن يحتفظ بها لاستخدامها في أوقاتها المناسبة لها، ومن هنا كانت أهمية المعاجم في فتح ما استغلق فهمه على الباحث. والمعاجم العربية نوعان : معاجم الألفاظ، ومعاجم المعانى.

١ – **فمعاجم الألفاظ** : هى التى تفسر المفردات اللغوية وتبين معانيها مع ذكر الاشتقاق والمترادف والمتشابه ولها طريقتان :

الطريقة الأولى : هى ترتيب الألفاظ في المعجم باعتبار الحرف الأخير من الكلمة، ولكل حرف باب، ثم ترتيب كل باب من هذه الأبواب وفقاً للحرف الأول من الكلمة وهكذا، وتسمى هذه الطريقة طريقة الترتيب على أساس "القافية"، فإذا أراد الباحث معرفة معنى كلمة "وسم" مثلاً بحث عنها في باب الميم فصل الواو، فأصول اللغة العربية تصنف في ثمانية وعشرين بابا هى حروف الهجاء من الهمزة إلى الياء، ثم تورد جميع الأصول اللغوية في باب الحرف الأخير فمثلا : لعب ـ وثب ـ حلب ـ حجب ـ نضب، تذكر جميعاً في باب "الباء" ثم ترتيب هذه الكلمات في داخل كل باب بحسب أوائلها فيكون عدد فصول كل باب ثمانية وعشرين فصلاً بحسب حروف الهجاء.

ويسير على هذه الطريقة في الترتيب : لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزبادى والصحاح للجوهرى.

والطريقة الثانية : هى الترتيب الهجائى المعروف، فترتب الكلمات حسب الحرف الأول، وإذا اشتركت الكلمات في الحرف الأول ترتب حسب الحرف الثاني، وهكذا، وهذه طريقة حديثة مستخدمة فى ترتيب المعاجم، وهى أحسن طرق الترتيب، ومما يسير على هذه الطريقة:

"أساس البلاغة للزمخشرى"،"المصباح المنير" للفيومى، والمنجد، والمعجم الوسيط ـ الذي قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار وأشرف على طبعه عبد السلام هارون ـ، وغيرها من المعاجم الحديثة.

٢- معاجم المعاني :

قد يجول المعنى بذهن الباحث ولا يجد اللفظ المناسب الذي يعبر عن هذا المعنى بدقة، فمثلاً إذا أردنا أن نعرف اسم الحبل الذي يرقى به الرجل النخلة فسنجد في معجم "الإفصاح فى فقه اللغة" أن اسمه الكسرة، والحبل الذى يوضع فى أعناق الدواب اسمه "الوهق" وجمعه : "أوهاق"[١]

ومن أشهر معاجم المعانى التى ترشد الباحث إلى اللفظ الذى يدل على المعنى "كتاب "الألفاظ" لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ، "فقه اللغة" للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ، كتاب "المخصص" لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى ٤٥٨هـ ويقع فى سبعة عشر جزءاً، ولقد صدر حديثاً

---

(١) انظر : فى المكتبة العربية ص ٢١ : ٢٣ بتصرف.

من معاجم المعانى "الإفصاح فى فقه اللغة" تأليف حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدى، وقد عمد المؤلفان إلى كتاب "المخصص" فهذباه وحذفا اسناده، وأضافا إليه، وراجعا مادته على معاجم اللغة الأخرى، وأخرجا "الإفصاح" فى صورة حديثه، وهو مقسم إلى أبواب، والأبواب إلى موضوعات.

ويمتاز الكتاب عن المرجع الأصلى ببعض الصور التوضيحية للحيوان والنبات والشجر والطيور والسمك، وفى نهاية المجلد الأخيرمعجم مواده اللغوية مرتبة بحسب الحروف الهجائية، وأمام كل مادة أرقام صفحاتها، فأصبح بذلك معجماً للألفاظ إلى جانب كونه معجماً للمعانى.

ثانياً : معاجم التراجم والسير :

اهتم العرب اهتماماً كبيراً بالتاريخ وتدوين ترجمات النوابغ والمشاهير **فى جميع الفنون، فتركوا لنا ثروة ضخمة من الكتب التى** تحفل بالتراجم، فمنها على سبيل المثال معجم الأدباء لياقوت، وفيات الأعيان لابن خلكان وهما مرتبان ترتيباً هجائياً بحسب الأسماء، ومنها ما رتب بحسب العصور أو سن الوفاة، فكتاب "يتيمة الدهر فى شعراء العصر"للثعالبى يترجم لأعلام الشعراء فى القرن الرابع الهجرى، "البدر السافر وتحفة المسافر" للأدفوى (ت ٧٤٨ هـ) يترجم لأعلام القرن السابع، "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلانى (ت ٨٢٥ هـ). ومن التراجم التى تتخذ سنة الوفاة اساساً فى ترتيبها - على سبيل المثال - : (البداية والنهاية) لابن كثير ت ٧٧٤ هـ، (شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذهب) لابن العماد الحنبلى ت :

١٠٨٩ هـ ، ومثل هذه المعاجم لا يستفيد منها الباحث إلاّ إذا علم سنة الوفاة للعَلَم الذى يبحث عنه.

ومن معاجم التراجم أيضاً "الأعلام" لخير الدين الزركلى من ثمانية أجزاء وفيه تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، وهو أحدث معاجم التراجم التى ظهرت حديثاً وهو يسير فى التراجم حسب الاسم الأصلى للعلَم، وهو مرتب حسب الحروف الهجائية، وترتيب الأسماء حسب الحرف الأول ثم ما يليه، ومن أهم ما يميز هذا المعجم أنه يورد فى نهاية كل ترجمة فى الهامش أهم المصادر التى رجع إليها واعتمد عليها وهو يذكرها باختصار.

وهناك معجم تراجم قصيرة لمصنفى الكتب العربية للراحلين من عرب وعجم، وهو "معجم المؤلفين" تأليف عمر رضا كحالة من خمسة عشر جزءاً ويتبع المؤلف اسم المترجم له وشهرته وبجانبه تاريخ مولده ووفاته بالتاريخين الهجرى والميلادى، ثم نسبته وكنيته ولقبه والمجالات العلمية التى برز فيها، ثم مكان ولادته وزمنها ورحلته ومناصبه ثم مؤلفاته، وقد اكتفى بذكر خمسة كتب للذين أكثروا التأليف، ويقتصر على الحقائق والوقائع البارزة فى سيرة المترجم له، ثم يتوسع فى ذكر المصادر التى ينصح بالرجوع إليها لمعرفة تفاصيل أكثر.

وسيحتاج الباحث أيضاً لموسوعات عربية أخرى مثل معجم البلدان وهو من تأليف شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى المتوفى ٦٢٦هـ ، وهو معجم عام لأسماء البلدان والمواضع، فيتناول المدن والقرى والسهل والوعر والخراب والعمار .. الخ مع استطرادات أدبية وتاريخية، فيذكر ما اشتهرت به من عجائب، ومن نبغ بها من العلماء والأدباء والصالحين، وموقعها وما

سميت به منذ القدم إلى عصره، فهو يعتنى عناية شديدة بضبط أسماء البلاد، ومتى فتحها المسلمون إلى غير ذلك من موضوعات، والكتاب مرتب ترتيباً هجائياً باعتبار أوائل الأسماء، ومقسم إلى ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم، وهو ينظر إلى أصول الكلمات وزوائدها؛ لأن جميع مايرد إنما هو أعلام لمسميات مفردة وأكثرها أعجمية لا مساغ للاشتقاق فيها.[1] ولقد طبع فى مصر وفى بيروت، وطبعة بيروت تحتوى على خمس مجلدات، ونرى موسوعة أخرى يحتاجها الباحث هى : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى على بن الحسين المتوفى ببغداد ٣٥٦ هـ ويعتبر هذا المرجع من أمهات كتب الأدب العربى، فقد ترجم مؤلفه لأكثر شعراء العرب حتى عصره، من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين - هذا ويحتاج باحث البلاغة إلى ذلك إذا كان بحثه فى تطبيق البلاغة على أحد الشعراء من تلك الحقب والطبقات - كما ترجم المؤلف لكثير من المغنين فى الدولتين الأموية والعباسية وقد جمع فيه الأغانى العربية قديمها وحديثها، وينسب كل ما ذكر منها إلى قائل الشعر، وفى أثناء ذلك يفسر الغريب، ويبين عروض الشعر وضربه، وبذلك يعتبر الكتاب موسوعة أدبية ومصدراً أساسياً لتاريخ الحضارة العربية والشعر العربى فى هذه القرون، والكتاب مؤلف على طريق الرواية والسند القديمة، وأبو الفرج من الذين يعتمد عليهم، ويوثق بهم، ولهذا أصبح الكتاب مصدراً هاماً من مصادر الأدب العربى، وهو كتاب ضخم فى أربعة وعشرين جزءاً، طبعته دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب.

---

(١) انظر : المكتبة والتربية ص ١٢٧ وما بعدها بتصرف تأليف عبد ربه محمد وعبد الجليل السيد حسين. دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.

الفصل الثالث :

أهم مراجع المكتبة البلاغية.

بحسب عصورها المختلفة.



أما حديثي عن المراجع البلاغية، فلا أستطيع حصرها هنا بما تحويه من أبحاث تختص بعلوم البلاغة، ومسائلها، وطرق تأليفها، إلا أنني سأشير إلى أهم ما يحتاجه الباحث منها، موجهة نظره إلى أعلام البلاغة والخطوط العريضة المكونة لمراجع المكتبة البلاغية بمنهجها وتطور تاريخ البلاغة عبر العصور التي مرت بها وذلك بإيجاز، وأبرز ما كان فيها من كتب بلاغية.

نبذة عن البلاغة في العصر الجاهلي والإسلامي :

اشتهر العرب بالفصاحة والبلاغة في العصر الجاهلي، وقد ذكر القرآن الكريم ما يؤيد ذلك في قوله تعالى (وإن يَقُولُوا تَسمَع لِقَولِهِم)(١) وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُه فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا)(٢) .

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بفصاحته وذكر أصالتها في قومه ونفى اللحن عن نفسه فيقول : (أنا أعرب العرب، ولدتني قريش ونشأت في بنى سعد، فأنى يأتيني اللحن).

ويقول أيضاً : (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش)(٣).

ووصف الجاحظ العرب بالفصاحة والبلاغة، وقدرتهم على القول في كل غرض؛ لقد مدح العرب العمل الجليل، وتغنوا بالحسب الكريم، وتحدثوا عن مكارم الأخلاق،، وأطالوا وصف الحبيبة في وقوفهم بالطلل الدارس ولقد وصفوا وأجادوا

---

(١) سورة المنافقون الآية ٤

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٤

(٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٦٠ تحقيق الصعيدى ط صبيح ١٣٧٢هـ

الوصف، ولقد تمادوا في الهجاء، ووصف النزاع والقتال بين القبائل، كما ندبت الأخت أخاها، والمرأة بعلها.

ومختصر القول فقد ظهرت عندهم البلاغة الفنية في أسمى درجاتها، وهي معالجة القول في أي غرض.

أما البلاغة التعليمية التي تدرس أبواب البلاغة وتفصل القول فيها، وتعرف كل باب وتبين أقسامه وحدوده فلم تكن لديهم، فلم يعرفوا تعريف التشبيه ولا الاستعارة ولا الكناية بالمعنى العلمي الذي نعرفه اليوم، ولكنهم عرفوا الألوان البلاغية معالجة، فنراهم شبهوا فأصابوا، واستعاروا فأبدعوا، وطابقوا فجاء طباقهم سهلاً فطرياً غير متكلف، وجاء في شعرهم ما يسميه البلاغيون الإرصاد والمشاكلة والتورية وحسن التقسيم .. إلى غير ذلك من بلاغة استشهدوا لها من شعرهم ونثرهم بالكثير من قولهم، فقد ورد عنهم قولهم "أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب"[1].

نستنتج من هذا أن عرب الجاهلية كانت لديهم ملكة فنية مكنتهم من تمييز جيد الكلام من رديئه، كما كانت لديهم أحكام وضعت كل شاعر في مكانه الفني اللائق به.

هذه الأحكام النقدية كانت تقوم على ذوق عربي أصيل، فكان نقدهم نقداً ذاتياً شخصياً لا يقوم على أسباب أو توضيح، وبمرور الزمن ذكر العلماء لهذه الأحكام تعليلات، قامت ـ غالباً ـ على أسس

---

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٦٣ تحقيق اليماوي وأبي الفضل ط١ الحلبي.

بيانية بلاغية حيث تحول النقد الذاتي إلى نقد تحليلي أو نقد بياني بنظر إلى المعاني والصيغ بقواعد وأسس بلاغية.

أثر القرآن الكريم على العرب :

ولما نزل القرآن قويت ملكة النقد، لأن العربي كان يسمع القرآن الكريم، ويقرأ آيات التحدي فينظر فيه ثم ينظر في كلام البشر فتتبين له مواقع الإعجاز في كلام الله، ومواطن التقصير في كلام البشر، وهكذا كان يدخل العربي الإسلام عن طريق البيان والنقد، ولقد كان للقرآن الكريم أثر بعيد المدى في رقى البلاغة الفنية، فهو أبلغ كتاب في أغراض اللغة العربية ومعانيها وألفاظها وأساليبها، ولم تظفر البلاغة بشئ من التدوين في ذلك العصر نظراً لأنها مركوزة في طبائعهم، فعندهم ملكة القواعد البلاغية التي يقوم عليها إنشاء الكلام الفني والتي كانوا يعتمدون عليها في تمييز الكلام الجيد من الرديء.

النقد في العصر الأموي :

اشتدت حركة النقد في العصر الأموي نظراً لقوة الخصومة بين الشعراء، فازدادت رغبة الناس في المفاضلة والموازنة بين قول وآخر وبين شاعر وشاعر، ومضى بهم هذا بالضرورة إلى النقد وإصدار الحكم، وخلق هذا أيضاً روحاً جيدة في النقد وقدرة على تحليل صياغة الشعر ومعانيه تحليلاً فيه عمق وفيه اختلاف في الذوق والحكم، مما أدى بالنقد في ذلك العصر أن يكون هادياً ومرشداً وملزماً للشعراء والخطباء أن يلتزموا التقاليد العربية والإسلامية واللغوية، فكان الأدب في ناحية الصياغة متينا وكانت الإرشادات والمآخذ كافية لهذا

العصر اللغوى الراقي، فالذوق مازال عربياً خالصاً والطبع نقياً صافياً، أما بعد أن فسدت الملكات وفشا اللحن فقد تحولت المآخذ والإرشادات إلى قواعد بلاغية يسير على هديها النقاد والأدباء والكتاب، فظهرت مرحلة الإشارات البلاغية المبثوثة في تضاعيف الكتب، وقام العلماء بوضع الكتب التي توضح الأساليب البيانية في الأدب العربي بعامة، وتبين طرقها وفنونها وضروبها وتشير إلى بعض الأساليب البلاغية.

وكان من أهم هذه الكتب في القرن الثاني الهجري

أولا: كتاب "مجاز القرآن" :

لأبى عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ وكان سبب تأليف كتاب مجاز القرآن مسألة بلاغية تتعلق بالتشبيه، وكون المشبه به معلوماً أو غير معلوم، واتخذ أبو عبيدة القرآن الكريم الأساس الأول لدراسته، معتمداً على فقهه باللغة العربية وأساليبها واستعمالاتها، والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها، وتعرض لمسائل بلاغية كان منها الإيجاز، فبين أنه من مذاهب العرب في كلامها قصد التخفيف، ويشترط علم السامع به مثل قوله تعالى :"وَاْسأَلِ القَرْيَةَ"(١) مجازها : أهل القرية.(٢)

ثم ذكر أبو عبيدة الإطناب ولكن من غير تسمية وبين بعض أغراضه، وكشف عن أسلوب التقديم والتأخير بدون تعليل، وتحدث عن أسلوب الاستفهام ولاحظ خروجه عن معانيه الحقيقية، وكشف عن بعض أغراضه البلاغية.

---

(٢) سورة يوسف الآية ٨٢

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٠٣/١ علق عليه وعارضه بأصوله د / محمد فؤاد سركين مكتبة الخانجى القاهرة.

وتعرض للمجاز العقلي أيضاً من غير تسمية، واسترعت نظره الصور التشبيهية، ويذكر في قوله تعالى: (نِسَاؤُكُم حَرثٌ لَكُم)[1] كناية وتشبيها، ويذكر التمثيل، ويقصد به التشبيه أو تشبيه التمثيل.

"يستعمل أبو عبيدة في تفسيره للآيات هذه الكلمات مجازه كذا، وتفسيره كذا، ومعناه كذا، غريبه كذا، وتقديره كذا، وتأويله كذا، على أن معانيه واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة "المجاز" عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أهم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد".[2]

ثانياً "معاني القرآن" الفراء ٢٠٧ هـ :

ويعنى به ما يشكل في القرآن الكريم، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وسبب تأليفه أن أحد أصحابه وهو ـ عمر بن بكير ـ كان يصحب الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت، فلما قرأ الفراء الرسالة جمع أصحابه فأملى عليهم تفسير القرآن الكريم من أول الفاتحة إلى آخره.[3]

سار الفراء على منهج أبى عبيدة إلا أن ثقافة الفراء النحوية ظهرت في كتابه بشكل واضح، وشرح بعض الألفاظ والآيات القرآنية وبعض الأساليب البيانية والتراكيب الإعرابية، ويرد كل هذا إلى مذاهب

---

(١) البقرة ٢٢٣

(٢) انظر : مجاز القرآن ١/١٨،١٩

(٣) معانى القرآن للفراء ١/١٢،١٣ بتصرف تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

العرب في كلامها، واحتوى كتابه على المسائل البلاغية مثل : الإيجاز والإطناب، وعرف صوره، ووقف أمامها وأبان الغرض منها، وأسلوب التقديم والتأخير، ولكنه لم يُبن السر البلاغي كما فعل أبو عبيدة، ووضح المجاز العقلي، وأسلوب الاستفهام، والالتفات ولم يسمه، وبيَّن استعمال المضارع مكان الماضى، ولكن من غير بيان سر هذا الاستعمال، وعرف أسلوب التشبيه ووضح المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وتعرض للاستعارة، ولكنه لم ينص عليها صراحة، وعرف الكناية، وأطلقها على الأسلوب المعروف بالكناية اللغوية، وعرض للمشاكلة، ولكن بدون تسمية، تلك كانت إشارات الفراء البلاغية.

جاء القرن الثالث الهجري فكثرت الفرق الإسلامية، وتنوعت اتجاهاتها، واشتد الخلاف بينها، واتصل خلافهم وجدلهم حول القرآن الكريم، وأخذ الإلحاد يصوب سهامه نحو الطعن على النظم القرآني والنظم العربي بوجه عام، مما جعل علماء المسلمين يدافعون عنهما، ونتج عن ذلك آراء في البيان العربي فأبرزوا محاسنه، وكان ممن أسهم في كثرة الإشارات البلاغية والآراء البيانية الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وأبو العباس ثعلب.

الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، الليثى، المعروف بالجاحظ البصرى العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن.[1] وهو زعيم البيان العربي في قوته وأسره وفى دقته وصحته، وحلاوته وجمال فنه، وهو يرى أنه لابد من

---

(١) وفيات الأعيان لابن حلكان تحقيق محى الدين ١٤٠/٣ ط١ ١٩٤٨ مكتبة النهضة.

دراسة اللغة العربية وآدابها وفنونها وضروبها حتى يستطيع الدارس أن يميز بين نظم ونظم وبين كلام وكلام[1].

لم يخصص الجاحظ لنا كتابا في البلاغة أو النقد، ولكن كتابيه "الحيوان"، و"البيان والتبيين" هما من الكتب الجامعة التي زخرت بالأمثلة الأدبية مما يربى الناحية الفنية الأدبية في القارئ، لما فيها من إبداع الأدب ونقده. والجاحظ مؤسس البيان العربي بلا منازع، وله هذه التسمية وبها سمى كتابه "البيان والتبيين" وقد جمع له مادة غزيرة من أقوال الأدباء والشعراء والخطباء، ووضع له الأسس التي سار عليها البلاغيون والنقاد من بعده، وأورد في الجزء الأول منه عدة تعريفات تكشف عن تصور الأجانب والعرب للبلاغة قبل عصره، وقد أوردها البلاغيون من بعده في كتبهم، وإيراده لتعريفات البلاغة بدون مناقشة يدل على اعتقاده بأن كل تعريف يكشف عن ناحية من هدف البلاغة على الأقل، واستحسن تعريفاً للبلاغة يقول عنه : وقال بعضهم : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.[2]. وألف الجاحظ كتاب "نظم القرآن" فيرى أن وجه إعجاز القرآن البلاغي هو نظمه البديع وتأليفه العجيب، فهو يخالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وأن نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج[3] ولقد ضاع هذا الكتاب مع الأيام ولم يبق لنا منه إلا بعض الإشارات القليلة المبثوثه في كتابه البيان والتبيين.

---

(١) انظر : تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها ص ٦٦ بتصرف.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/١١٥ تحقيق هارون ط ٢ الخانجي بالقاهرة والمثنى ببغداد سنة ١٩٦٠م.

(٣) البيان والتبيين ١/٢١٣.

ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى وقيل المروزى النحوى اللغوى كان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيدة. [١]

درس ابن قتيبة الحديث والفقه والكلام والفلسفة واللغة، ومال إلى أهل السنة ودافع عن كثير من معتقداتهم وآرائهم، وترك الكثير من المؤلفات التي تدل على سعة علمه، وغزارة معلوماته، فمن مؤلفاته : أدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، والمعارف، والرد على من يقول بخلق القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، والأشربة، وكتاب الميسر وكتاب الإبل، ومعاني الشعر، [٢]

ويتضح من أسماء هذه الكتب أن ابن قتيبة قد شارك بالتأليف في كثير من العلوم، مما يدل على سعة اطلاعه وإجادته للعلوم المختلفة.

وفى (تأويل مشكل القرآن) صدره ببيان وجه إعجاز القرآن، فقرر أنه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب، ثم أشار إلى عناصر الجمال في النظم القرآنى، فتحدث عن الجمال التوقيعى والنسق الصوتى البديع الناشئ من تقسيم الحركة والسكون فيه تقسيماً عادلاً، وإذا سمع السامع القرآن طرقت أذنه جواهر ألفاظه وأجراس حروفه فشعر بلذة وتاقت الأذن لسماعه بحب وشغف[٣].

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٤٢٦.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢ - ٤٤، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٣/٢٩٦ مؤسسة الرسالة ط٢ سنة ١٩٨٤، شذرات الذهب ٢/١٦٩ - ١٧٠.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٣ تحقيق السيد أحمد صقر - ط الحلبى ١٩٥٤م.

وقد أدرك ابن قتيبة عناصر الجمال في الكلام بوجه عام فقال إنها تأتى من ثلاث جهات :

أولاً : الألفاظ ، ثانياً : المعنى الأصلى. وثالثاً : المعانى البلاغية أو الصورة البلاغية التي تحدثها الألفاظ إذا ضُمت إلى بعضها على طريقة مخصوصة.

فالتعبير عن المعنى يكون بالألفاظ الموضوعة له في أصل اللغة، وأن تكون الألفاظ على قدر المعانى لا تزيد ولا تنقص، وهناك تصرفات بلاغية تعبر عن معان في نفس الأديب أحياناً لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ، أو إذا عبر عنها بالألفاظ طال الكلام وثقل، وهذا يفهمه العربي الأصيل أو دارس اللغة العربية دراسة عميقة وأتقن آدابها.

ولقد رأى ابن قتيبة أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشئ، وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا القِّن[1]، فالطريقة أو التصرفات البلاغية أو المشكل كما أطلق ابن قتيبة عليها، استغلها المعاصرون له سواء عن حسن نية أو سوء نية، ممن يحقدون على الإسلام أو لا يتقنون آداب اللغة العربية، فابتدأ ابن قتيبة بدارسة "المجاز" لأن المشاكل أكثر ما تكون فيه، ولأن غلط أكثر المتأولين من جهته.[2]

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ بتصرف واللقن : سريع الفهم.

(٢) المرجع السابق ص ٧٤،٧٥ بتصرف.

وبعد ذلك تحدث عن الاستعارة، ثم الإيجاز بنوعيه، ثم الإطناب، وتعرض لبعض صوره، ثم تحدث عن الكناية والتعريض والتورية، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، فجمع تحت هذا العنوان فنوناً من التعبيرات جاءت على خلاف مقتضى الظاهر، ووضح الغرض البلاغى منها، وأثبت أنها من مذهب العرب في كلامها، وتحدث عن التشبيه والتمثيل، وألوانا بلاغية أخرى عدها المتأخرون من البديع "كالتوجيه" ولكنه لم يزد فيه عما قال الفراء[1]، وعرض لتأكيد المدح بما يشبه الذم، وعرف حسن الابتداءات، ومثل لكل ذلك من أقوال العرب، ومن آيات القرآن الكريم.

المبرد ت ٢٨٥ هـ

هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ألف كتابه "الكامل في اللغة والأدب" وغرضه من تأليف الكتاب سد حاجة المثقفين وإرضاء رغباتهم؛ لأنه جمع فيه ضروبا من الآداب من نثر وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة، واختار خطباً شريفة ورسائل بليغة، وكان يفسر ما يقع فيه من كلام غريب، أو معنى مستغلق، ويشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً حتى يستغنى قارئ الكتاب عن غيره، فأصبح من كتب الأدب المعدودة.

ولقد نثر فيه من مسائل البلاغة كالإيجاز والإطناب، وتحدث عن أسلوب الالتفات، وأسلوب الاستفهام وخروجه إلى

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ص ٦٠ بتحقيق السيد صقر.

التقرير والتوبيخ، وتحدث عن التغليب، وأسلوب التقديم والتأخير، والقلب بما لا يزيد عن السابقين، وذكر أمثلة للمجاز العقلى ولم يسمه، وعرف الاستعارة، ولكنه لم يزد فيها شيئاً، وتحدث عن التشبيه، وقال إنه جار في كثير من كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد[1] وتحدث عن الكناية، وذكر معنى اللف والنشر.

ويذكر بلاغة الشعراء ويوازن بينهم، ويفضل بعضهم على بعض، ويجعل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كلامهم، فإذا ما وصل إلى القرآن الكريم جعله فوق هذا وذاك.

ثم ينظر في بلاغة القرآن وبلاغة الشعراء، ويبرز بلاغة القرآن الكريم، وفى محاورته للكندى حينما ادعى أن في اللغة العربية حشوا كشف عما عرفه المتأخرون بأضرب الخبر.

وله كتاب آخر هو : "البلاغة" يذكر فيه بلاغة الشعراء، ويوازن بينهم، ويفضل بعضهم على بعض، ثم يجعل قول الرسول صلى الله عليه وسلم فوق كلامهم، فإذا ما وصل إلى القرآن الكريم جعله فوق هذا وذاك، ولم يقدم أسباباً موضوعية، ولم يضع يده على خصائص فنية لهذا التفضيل، وتلك الموازنات، وإنما اعتمد على إحساسه الصادق، وعلى ذوقه الصافى، فيقول : "فإذا جاء أَمْرُ القرآن نظرت إلى الشئ

(١) الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس المبرد ٦٩/٢ روجع بمعرفة نخبة من العلماء و... التجارية مطبعة الاستقامة ١٩٥١م.

الذي هو أَوْحَد، والقول الذي هو مُنْبَتّ، ألا ترى أن الله جعله الحجة والبيان، والداعي والبرهان؛ وإنما وضع السراج للبصير المستضئ، لا الأعمى والمتعامى"[1].

ثم يوازن بين النظم القرآنى، وبين نظم الشعراء فيقول : "قال أحد الشعراء في وَصْفِ قوم يحملون الشعر ولا يفهمونه، قولا أجاد فيه، وتقدم كلام كثير من المخلوقين فقال :

زَوَامل للأشعار لا عِلْمَ عندهم بجيدها إلاّ كعلم الأباعر
لعمرُك ما يدرى البعيرُ إذا غدَا بأوساقِه أو رَاحَ ما في الغرائر

فهيهات هذا من قول الله تبارك وتعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَم يَحمِلُوهَا كَمَثَلِ الحمَارِ يَحمِلُ أَسفَارًا)"[2]

ثم يقول :"وقال الأولون مِنَّا : "القتل أقل للقتل" يقول : إذا قُتل القاتل امتنع غيرُه من التعرض للقتل، فهذا أحسن الكلام من كلام مثله.

"ثم يقول : ولو اعترض معترض فقال : من القتل ما يهيج القتل، ويبعث عليه لكان ذلك له، وإن لم يكن ما قصد له القاتل.

فإذا جاء قوله جل وعز : "وَلَكُم فِي القِصَاصِ حَيَاة يَا أولِي الأَلبَابِ"[3].

جاء مالا اعتراض عليه، ولا معارضة له، وقوله تعالى : "يا أولى الألباب" خطر ثان، فتبارك الله الذي ليس كمثله شئ".

---

(١) البلاغة للمبرد ص ٩٠ ـ ٩٢ تحقيق د/ رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الثقافة الدينية.

(٢) سورة الجمعة آية ٥.

(٣) البقرة ١٧٩.

فواضح مما تقدم أن هذا كله إحساس بروعة النظم، ولم يصل إلى مرتبة الشرح والتفسير والتعليل.

ثعلب ت ٢٩١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ألف كتاب "قواعد الشعر" تحدث فيه عن الشعر وأركانه وفنونه وأقسامه، ونثر فيه بعض المسائل البلاغية كالتشبيه، وذكر الإفراط والغلو فى المعنى(١) ولطافة المعنى وهى عنده الدلالة بالتعريض على التصريح، ثم يذكر الاستعارة، وتكلم عن حسن الخروج ومجاورة الأضداد، والمطابقة والتجنيس واتساق النظم(٢).

وبالحديث عن ثعلب تنتهى مرحلة الإشارات البلاغية المبثوثة بين تضاعيف الكتب، وكانت سمة هذه المرحلة هو تفسير الغامض من الأساليب البيانية، وإظهار الإحساس الذوقى دون تحليل أو بيان لعناصر الجمال في الأدب العربى، وكانت مجهودات أبى عبيدة، والفراء، والجاحظ، وابن قتيبة، وثعلب، والمبرد، من العوامل التي دفعت ابن المعتز إلى أن يخرج للدارسين ولأبناء العربية كتابه "البديع".

ابن المعتز ت ٢٩٦ هـ

هو الخلفية العباسى عبد الله بن المعتز بن المتوكل، أحد الشعراء العلماء، ومن رجال البديع، أخذ الأدب عن أبى العباس المبرد، وأبى العباس ثعلب وغيرهما(٣).

---

(١) انظر قواعد الشعر لثعلب ص ٣٠،٣١،٣٩،٤٠ تحقيق خفاجى ط١ ١٩٤٨م.

(٢) قواعد الشعر لثعلب ص٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٢٦٣ تحقيق محى الدين ط ١ ١٩٤٧ مكتبة النهضة.

ألف كتاب البديع سنة ٢٧٤ هـ [١] والغرض منه : تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شئ من أبواب البديع، وأن ما أتوا به وأكثروا فيه بما يسمى بديعاً موجود في القرآن الكريم والحديث النبوى وشعر الجاهليين والإسلاميين.

وللكتاب "أهمية كبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في البيان العربي على مر عصورنا الأدبية، وهو ينحصر في دراسة ألوان البديع نحو الدراسات التطبيقية الواسعة التي لها أثرها في تكوين الملكة والذوق ودعم الفكرة والرأى في نفس القارئ، ويشتمل الكتاب على ٣١٢ شاهدا من عيون الشعر العربي تبلغ ٤٢٥ بيتا أو تزيد فوق ما اشتمل عليه من بليغ النصوص والشواهد من الذكر الحكيم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب.

والكتاب مع ذلك خلو من الاصطلاحات العلمية الدقيقة، وتحديدات المنطقيين العميقة، وهو يكتفى بمدلول اللون البديعى بشرح أدبى موجز حينا وبما تدل عليه الشواهد حينا آخر، وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة مما يدل على ذوق سليم وفطرة عربية مطبوعة.

وأهم سمة يمتاز بها الكتاب بعد ذلك كله هو النظام الدقيق في العرض بما يتجلى في جميع أبواب الكتاب مع الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب، وهو فوق ذلك أول خطوة

---

(١) كتاب البديع لابن المعتز نشر كراتشوفسكى مطبعة ستيفن بمدينة هرت فورد ١٩٣٥م، وهو ضمن كتاب ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة النجاح.

علمية موفقة في التأليف في البديع والبيان، وإذا غضضنا النظر عن الخطوة الأولى التي خطاها ثعلب في كتابه "قواعد الشعر" كان عمل ابن المعتز جديداً مبتكراً من كل نواحيه"[1].

وقسم ابن المعتز كتابه قسمين : القسم الأول خمسة أنواع من فنون البديع كما رأى، وهى الاستعارة أولاً، وقد مثل لها بأمثلة من القرآن الكريم، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة، ثم من الشعر القديم وكان يعلق على ذلك كشفا لقرينة الاستعارة والمستعار، والمستعار منه، ثم ذكر في ختام كلامه عن الاستعارة النوع المعيب منها ليتجنب، ولقد اشتمل ذكره للاستعارة على الاستعارة التصريحية والمكنية.

النوع الثانى من البديع : التجنيس وعرَّفه وسار في استشهاده على منهجه الذي رسمه لنفسه كما اتضح في القسم الأول.

والنوع الثالث من البديع هو المطابقة وقد نقل تعريفها عن الخليل رحمه الله، ووضح أمثلتها بالمنهج السابق ذكره.

النوع الرابع من البديع رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والنوع الخامس من البديع: المذهب الكلامى[2].

أما القسم الثانى من الكتاب ويسميه محاسن الكلام والشعر فقد ذكر ابن المعتز فيه ثلاثة عشر لونا هى : الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج من معنى إلى معنى، ويسميه المتأخرون الاستطراد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية والإفراط في الصفة، وذكر حسن

---

(١) انظر : ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ص ٥٩٥.

(٢) انظر : البديع لابن المعتز ـ من ص ٦٠١.

التشبيه ولم يزد فيه على من سبقه، ولم يتعرض لبيان أركانه ولا وجه الشبه، ولكنه نبه على أحسنه، إعنات الشاعر نفسه في القوافى، وتكلفه في ذلك ما ليس له، وساق له أمثلة تنطبق كلها على لزوم مالا يلزم، وذكر حسن الابتداء.

هذه هى الألوان التي ذكرها ابن المعتز في كتابه "البديع" وكان لعمله الأثر البعيد المدى في حركة النقد التي نشطت في القرن الرابع الهجرى.

قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ.

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة ونقد الشعر وله مؤلفات أخرى[١] وبرع في صناعة البلاغة، والحساب، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنف في ذلك كتبا منها : كتاب نقد الشعر "وقدامة يستهل كتابه "نقد الشعر" بأن الشعر علم ينقسم إلى علم العروض والأوزان وقسم ينسب إلى علم القوافى والمقاطع، وقسم ينسب إلى علم الغريب واللغة، وقسم ينسب إلى علم معانى الشعر والقصد منه، والقسم الخامس ينسب إلى جيده ورديئه. والأقسام الأربعة الأولى عنى بها العلماء عناية تامة، ووضعوا فيها الكتب، واستقصوا أحوالها ـ أما القسم الخامس وهو تخليص جيد الشعر من رديئه، فلم يجد قدامة أحداً قد وضع كتاباً يتناول فيه هذا العلم، رغم أن الكلام في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام الأخرى."[٢]

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الرومى تحقيق الدكتور أحمد فريد الرفاعى ١٢/١٧ ـــ ١٥ مطبوعات دار المأمون راجعته وزارة المعارف.

(٢) المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور / عبد القادر حسين ص ١٥١ ط ١ دار الشروق ١٩٨٢.

هذا ويعد كتاب "نقد الشعر" الكتاب الثانى بعد كتاب البديع لابن المعتز يبحث في الشعر وبيان جيده من رديئه، إلا أنه كان ينعى على معاصريه تقصيرهم في العناية بعلم جيد الشعر من رديئه.

ولكى يبين أسباب الجودة والرداءة، يذكر عناصر الشعر وهى : اللفظ والوزن والقافية والمعنى، وائتلاف هذه العناصر مع بعضها ينتج ائتلافات هى : ائتلاف اللفظ مع المعنى، ائتلاف اللفظ مع الوزن، ائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، ثم يتكلم عن عيوب ومحاسن هذه الثمانية، ويعرض لعشرين لونا من ألوان البديع هى : الترصيع الذي ذكر عند الجاحظ تحت اسم الإزدواج ثم يذكر التشبيه فيعرّفه ثم أشار إلى أحسن التشبيه، وساق أمثلة لذلك وعلق عليها، وما يمكن أن يحسّن التشبيه، وفى تحليله للأمثلة أبان إصابة التشبيه للمعنى الذي قصده الشاعر(١)، وعرض لصحة التقسيم، ويذكر صحة المقابلة وصحة التفسير وهما من أنواع المعانى وأجناسها، وعرض للتتميم وعرّف المبالغة، ومن نعوت المعانى عنده الالتفات، وذكر المساواة، ثم عرض للإشارة، وذكر الإرداف وهو نوع من أنواع الكناية. أما التمثيل فقد جعله من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى وعرض للمطابق والمجانس والتمكين والتوشيح والإيغال، وتعرض للاستعارة فبين القبيحة منها والحسنة، وعرّف التصريع وجعله من نعت القوافى، ويلاحظ في هذه الألوان التي وضحها قدامة العمق أكثر من السابقين.

---

(١) انظر : كتاب نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ص ١٣ — ٣٨ ط١ مكتبة الخانجى.

بين قدامة بــن جعفـر فـى كتابــه أن الحـدث فـى نقـد الشــعر اتجـه إلـى جوانـب غير مهمـة فـى العمـل الشـعرى مثـل الحديـث عـن الـوزن والقافيـة وطـرق التعبـير عـن أغراضـه فـى حيـن أن هــذا الحديـث لا يجـدى نفعـاً فـــى رأيـــه، لعامـــة المنـــادين والمشـــتغلين بالشـعر، وأن أحـاديث النقد أهملت الجـانب الأهـم فـى الشـعر وهـو مـا يعـرف بـه جيده مـن رديئـه فـإن النـــاس يخبطـون فـى ذلـك منــذ تفقهوا فـى العلـم.

هذا وقد ألغى قدامة فى حديثـه الجـانب الأساسـى فـى نقـد الشـعر، وهو الذوق الأدبى المتمرس الذى هو الأسـاس الأهم فى فهـم الأعمـال الأدبية ووزنها وتقديرها.

وفى الحق أن كتاب "نقد الشـعر" يعتبر الأسـاس الأول فـى فصـل النقد عن البلاغة وجعل البلاغة علماً مستقلاً لـه رسـومه وقوانينـه التـى ابتعدت به عن الذوق المرهف إلى العلمية الجافة.

ابن طباطبا ت ٣٢٢هـ :

هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بـن الحسـن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه[١].

كان معـاصراً لابـن المعـتز وقدامـة بـن جعفـر ألـف كتابـه "عيـار الشعر" ليتحدث فيه عن علم الشعر وطريقة نظمه وتقريبه إلـى الأفهـام، وللشعر عنده أدوات لإتقانه، منها التوسع في علم اللغة والنحو، ودراسـة

---

(١) انظر : الفهرست لابن النديم ص ١٥١ تحقيق رضا تجدد، وفيات الأعيان ١/١٣٠.

اللغة العربية وآدابها وفنونها وطريقة العرب في كلامهم وأيامهم، ثم يتحدث عن إبداع الشعر ونقده، ويتحدث عن المعانى والألفاظ، ثم تحدث عن طريقة العرب في التشبيه، ويصل إلى عيار الشعر، ويجعل علة حسنه الاعتدال في الأساليب وموافقته للحال التي يعد معناه لها، حتى تسكن النفس وتطرب ويحدث لها أريحية عند سماعه والتشبيه أول مقياس بلاغى نجده في كتابه وأفاض في الحديث فيه، وختم كتابه بالحديث عن الشعر من حيث اللفظ والمعنى ولا يخلو من إشارات إلى أنواع المجاز والتشبيه[1].

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب ت ٣٧٢ هـ

كانت أسرته تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون، وجده سليمان من جلة الكتاب، ووزر للخليفتين المهدى بالله، والمعتمد على الله، وهذا ما يؤكد وجوده في القرن الرابع الهجرى فهو معاصر لقدامة بن جعفر، ألف "نقد النثر" وهو الاسم المشهور لكتاب "البيان" ولقد نسب خطأ لقدامة، وهو جزء من كتاب" البرهان في وجوه البيان" لابن وهب، فعنوان الكتاب ليس "نقد النثر"، ومصنفه كتب في مقدمته ما يؤكد معارضته لكتاب البيان والتبيين للجاحظ حيث لم يأت الجاحظ بوصف البيان ولا أقسامه فهو غير مستحق لهذا الوصف كما يبين ذلك ابن وهب في مقدمة الكتاب، وقد ضمنه حديثاً عن الشعر بجانب حديثه عن النثر واستشهد بأمثلة من الشعر والنثر فهو يؤلف كتابا في البيان لا في

---

(١) انظر : عيار الشعر محمد بن طباطبا تحقيق الحاجرى وسلام ١٤-١٧ المكتبة التجارية ١٩٥٦م.

نقد النثر، ومنهج الكتاب مخالف مخالفة واضحة لمنهج كتاب قدامة "نقد الشعر" فابن وهب لم يبدأ بتعريف البيان كما بدأ قدامة بتعريف الشعر، ولم يحاول أن يحصر عناصره، بل عمد إلى تقسيمات البيان، بينما اكتفى قدامة بالإشارة إلى قواعد النحو وبعض قواعد المنطق في صحة اللفظ وائتلافه مع الوزن. وصرّح ابن وهب كثيراً بالأخذ عن اليونان والنقل عن أرسطو، وتوسع في شرح أصناف الدلالات. وذكر أنواعاً من البديع منها : التشبيه والكناية والاستعارة والحذف والالتفات ويسميه الصرف والمبالغة، والتقديم والتأخير، ودعا إلى دراسة اللغة العربية والتمرس بآدابها، وتكلم عن الطلب ومنه "الاستفهام" وذكر خروجهما عن المعنى الحقيقى.(١)

وبعد فكتاب البديع لابن المعتز، ونقد الشعر لقدامة، وعيار الشعر لابن طباطبا ونقد النثر أو البيان لابن وهب، هى أهم الكتب التي ظهرت في أواخر القرن الثالث وصدر القرن الرابع الهجرى، وهى ألصقها بالبديع، وقد أثمرت عن حركة النقد العلمى المنظم عند العرب، وبلغت درجة سامية بظهور حكومة الآمدى في الشعر وكذلك القاضى الجرجانى.

أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ت ٣٧١ هـ

وفى القرن الرابع اشتدت الخصومة بين أنصار البحترى وبين أنصار أبى تمام فألف: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى :

---

(١) انظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقى ضيف ٩٣ - ١٠٢ بتصرف دار المعارف بمصر ط٣ ١٩٦٥

"الموازنـة بين الطـائيين" ويعـد هـذا الكتـاب قفـزة فـي تـاريخ النقد العربى، فلـم يعتمـد علـى النقـد الفطـرى القـائم علـى الحسـن دون تحليـل وتعليـل، وإنمـا كـانت موازنـة مؤيـدة بالأدلـة والتفصيلات التـي تشـمل الألفـاظ والمعـانى والـتراكيب والصـور، فيتسـم بـالجدة والموضوعيـة فـي النقـد.

ويُعَدّ هذا الكتاب أول كتاب فى النقد المنهجى عند العرب بمعنـاه العلمى الدقيق، إذ سار فيـه علـى منهج مفصّل أعلنـه فـى صـدر كتابـه يقول: "وأنا ابتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحـاب هذيـن الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيـل أحدهمـا علـى الآخر، وما ينعاه بعض على بعض لتتأمل ذلك، وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت أن تحكم، واعتقادى فيما لعلك تعتقد"(١)

وعقب انتهائه مـن عـرض حجـج أنصـار الشـاعرين يتحـدث عـن النقاط التى سوف يناقشها وهى :

أخطـاء أبـى تمـام وعيوبـه، وأخطـاء البحـترى وعيوبـه، ومحاسـن أبـى تمـام، ومحاسـن البحـترى، ثـم الموازنـة التفضيليـة بيـن الشـاعرين. ويقـول الآمـدى: "فأمـا أنـا فلسـت أنصـح بتفضيـل أحدهمـا علـى الآخـر، ولكـن أقـارن بيـن قصيدتيـن مـن شـعرهما إذا اتفقنـا فـى : الـوزن والقافيـة واعـراب القافيـة، وبيـن معنـى ومعنـى فـأقول أيهمـا أشـعر فـى هـذه القصيـدة وفـى تلـك، ثـم احكـم أنـت حينئـذ علـى جملـة مـا لكـل واحـد منهمـا إذا أحطـت علمـاً بـالجيد والـردئ."(٢)

---

(١) ، (٢) الموازنة للآمدى ص ٣ تحقيق محى الدين ط٣ الحلبى ١٩٥٩م.

وقد مضى الآمدى يوازن بين الشاعرين، يعرض بعض المسائل البلاغية كالاستعارة والطباق والجناس والتشبيه والحذف والمجاز والاستفهام وخروجه إلى التقرير، وذكر القلب وحسن الابتداءات.

وبظهور الآمدى عرف العرب النقد المنهجى بمعناه العلمى الدقيق.

القاضى على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجانى ت ٣٩٢ هـ

وهو من النقاد الذين تناولوا بعض الأساليب البلاغية في كتابه "الوساطة بين المتنبى وخصومه" وقد نثر في كتابه بعض صور البديع كالاستعارة والتجنيس والطباق والتقسيم والتشبيه والتمثيل والمبالغة كما تحدث عن التخلص والاستهلال والخاتمة.

وترجع القيمة البلاغية لكتاب "الموازنة" وكتاب "الوساطة" إلى استعمال المقاييس البلاغية فى الحكم فى هاتين الخصومتين، كما اتخذ الأسلوب البيانى للقرآن الكريم حكما فى كل مسألة اشتدت الخصومة حولها. وليس غريباً أن تتخذ المقاييس البلاغية أداة من أدوات النقد، فهذه المقاييس استنبطت من محاسن الشعر والنثر وكون النظم القرآنى هو الفصل في مسائل الجودة والفصاحة.

وعلى هذا ففى القرن الرابع الهجرى وجهت الأنظار إلى بيان وجه إعجاز القرآن البلاغى، وكانت التساؤلات: هل يمكن بيان عناصر الإعجاز البلاغى بهذه المقاييس؟، وإذا أمكن هذا، فما دور البلاغة في التعبير القرآنى؟ هذا ما سنراه عند الرمانى وأبى هلال العسكرى.

على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرمانى ت ٣٨٦ هـ

من كتّاب الإعجاز، كان محباً للعلم واسع الإطلاع وله مصنفات كثيرة منها رسالته "النكت في إعجاز القرآن"(١)

وهى رسالة تأخذ شكل جواب عن سؤال وجه إلى الرمانى عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحِجَاج.

ويجيب الرمانى قائلاً : إن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة، والتحدى للكافة، والصَّرفة والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقص العادة وقياسه بكل معجزة.(٢) ثم ترك الوجوه الثلاثة الأولى، والوجوه الثلاثة الأخيرة ليتكلم عنها باختصار في آخر الكتاب.

ويبدأ بالبلاغة وهى عنده على طبقات ثلاث : طبقة عليا، وأخرى دنيا وطبقة وسطى فأعلى طبقة في الحسن هى بلاغة القرآن وهى خاصة به، وتعد معجزة للعرب والعجم، وما دون ذلك لبلغاء الناس، والبلاغة عنده إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وحصر البلاغة في عشرة أقسام هى : الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، ثم مضى يفسرها بابا بابا وابتدأ بالإيجاز.(٣)

---

(١) الاعلام للزركلى ٤/٣٠٠ ، وفيات الأعيان ٢/٤٦٠.

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابى والرمانى وعبد القاهر الجرجانى تحقيق الدكتور خلف الله وسلام ص ١٠ دار المعارف.

(٣) النكت ص ٧٥،٧٦.

وعقد مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة الناس، ومثل للقرآن بقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ)[1]، ومثل لبلاغة الناس بقولهم: القتل أَنْفَى للقتل.

ولقد أضاف جديداً في الأبواب العشرة التي ذكرها في رسالته، فقد حدد بعضها تحديداً نهائياً، وبرزت الصورة البيانية عنده في مرحلة صباها، ثم وضح الوجوه الستة الباقية التي رد الإعجاز القرآني إليها.

ويرى الرماني أن حس البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظام حتى يحسُن في السمع ويسهل عَلى اللسان وتتقبله النفس وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة.

وهو بهذا قد تعمق في بيان أسرار الجمال للألوان التي ذكرها، ثم نجد بعد ذلك أبا هلال العسكرى الذي قام بدراسة واسعة في ميدان البلاغة والنقد، والذى جمع أشتات المقاييس التي تمخضت عن دراسات السابقين.

أبو هلال العسكرى ت ٣٩٥ هـ

هو أبو هلال[2] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى، أحد أعلام النقد والأدب في القرن الرابع الهجرى صاحب كتاب "الصناعتين" الكتابة والشعر، وقد استهله ببيان إعجاز

---

(١) البقرة ١٧٩.

(٢) معجم الأدباء ٤/٢٦٤.

القرآن الكريم بما خصه الله تعالى من حسن التأليف وبراعة التركيب، والإيجاز البديع مع سهولة كلمه وجزالتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها. ويوجب على المسلم تعلم البلاغة لأنها أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ، فبها يعرف إعجاز القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه فيما يبلغ عن رب العزة.

وبالبلاغة يستطيع الناقد أن يميز الكلام الجيد من الردئ كما أنها تمكنه من إنشاء الكلام الجيد وابتكار المعانى الرائعة واختيار الأشعار الممتازة.

ولقد اعتمد أبو هلال في تفسيره البلاغة والفصاحة على ما ورد في "البيان والتبيين" للجاحظ إلى حد بعيد، وفى أثناء ذلك تعرض لمطابقة الكلام لمقتضى الحال، والطريقة التي يراها لتربية التذوق الأدبى بما لا يزيد على الجاحظ وابن طباطبا.

ويرى أبو هلال أن الميزة البلاغية تكمن في اللفظ، وأن المعانى موجودة، فهى ملك لكل شاعر وكاتب، ويوافق الجاحظ في ذلك، على أنه لا يهمل المعانى فهو يرى أن صاحب البلاغة يحتاج إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، فالمعانى تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة، ولقد أَحَسَّ بروعة النظم وأن كل تصرف فيه يَفيد معنى زائداً على المعنى الأصلى، ولاحظ أثر التقديم والتأخير فيه.

ويعتبر كتاب الصناعتين نقطة تحول النقد إلى بلاغة، ففى طريقة تأليفه وموضوعاته وروحه ومنهجه أوضح دليل على ذلك، فقد اشتمل على عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً.

الباب الأول : فى الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الأمثلة في كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها (ثلاثة فصول).

الباب الثانى : تمييز الكلام جيده من رديئه، ومحموده من مذمومه (فصلان).

الباب الثالث : فى معرفة صفة الكلام (فصلان).

الباب الرابع : فى البيان عن حسن السبك وجودة الوصف (فصل واحد).

الباب الخامس : فى ذكر الإيجاز والإطناب (فصلان)

الباب السادس : فى حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته (فصلان)

الباب السابع : القول في التشبيه (فصلان).

الباب الثامن : فى ذكر الأسجاع والازدواج - (فصل واحد).

الباب التاسع : فى شرح البديع والإبانة عن وجهه وحصر أبوابه وفنونه (خمسة وثلاثون فصلاً)

الباب العاشر : فى ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه (ثلاثة فصول).[1]

---

(١) الصناعتين لابى هلال العسكرى ط ٢ ٨/٢٣٣ - ٢٦٧.

هذا ولأبى هلال ثمانية عشـرة مؤلفـا[١] والمطبـوع المتـداول منهـا ثلاثة كتب أولها وأشهرها الصناعتين، وثـانى هـذه الكتـب شـهرة كتـاب "ديوان المعانى" أما الكتاب الثالث فهو كتاب لغوى واسمه "المعجـم فـي بقية الأشياء" طبعته دار الكتب المصرية ١٩٣٤م.

ويُعد ذلك العمل البلاغى "الصناعتين" الذي يعتز به أبـو هـلال قد قصـد منـه أن يكـون أداة لإبـراز عنـاصر الإعجـاز فـي القـرآن الكريـم وتمييز الجيد من الردئ في الكلام العربى، والقـدرة علـى إنشـاء الكـلام الفنى، وكانت أفضلية شاعر على آخر أو كلام على غيره تقتصر علـى الوقوف عنـد طبـاق أو اسـتعارة أو تشـبيه ... الـخ، ولكـن النقد الأدبـى يتعمق فيصبح موضوعياً وكذلك النظـرة الإعجازيـة فـي القـرآن الكريـم تلح على المسلمين إلحاحاً، حتى في السور القصار والمكونة من ثـلاث آيات، فلابد أن يعمل الفكر البلاغى ويجتهد حتـى يصيـغ نظريـة لغويـة أدبية تستطيع أن تبرز عناصر الجمـال فـي كـل تركيـب عربـى وكـانت نظرية النظم التي كان لها شأنها فـى ازدهـار الدراسـات البلاغيـة ولعـل أول من نبه الأذهان إلى ذلك هو الإمام الخطابى.

الخطابى ت ٣٨٨ هـ

هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطـابى البسـتى[٢] مـن كتاب الإعجاز الذيـن أسـهموا فـي ازدهـار البلاغـة العربيـة، ويـرى أن

---

(١) معجم الأدباء ٢٣٣/٨ - ٢٦٧.

(٢) وفيات الأعيان ٤٥٣/١،٤٥٥.

البلاغة من الممكن أن يتحقق بها معرفة وجه إعجاز القرآن البلاغى إذا ما عرضت العرض الصحيح ويعيب معالجة السابقين لها[1].

ونعى على معاصريه تسليمهم بصفة البلاغة على نوع من التقليد دون التحقيق له وإحاطة العلم به، وهو لا يرضى أن يكون الحكم على الجمال الفنى في الكلام بوجه عام أو على عناصر الإعجاز، قائماً على الإحساس الذاتى، وإنما يريد أن الكلام الذي يوصف بالبلاغة توضع فيه عناصر الحسن، وأن توضع اليد على الخصائص التي كان بها الكلام بليغاً، أو هو يريد أسباباً موضوعية لعناصر الجمال في الكلام بوجه عام، ولا يقتنع إلا بوجه الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم. ويرى الخطابى أن الميزة البلاغية لا تتعلق بالألفاظ فقط التي يتركب منها الكلام، بل لابد أن تضاف إليها المعانى، ويضاف كذلك مَلاَبِسه التي هى نظوم تأليفه.

ويصل إلى رسوم النظم وهى الأساس الثالث بعد الألفاظ والمعانى، فيرى أن الحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعانى، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويرتبط بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان.

"ومن الطريف في رسالة الخطابى ما أورده من تحليل بعض النصوص تحليلاً فنياً جميلاً يكشف عن ذوق وبصر بمواطن الجمال في الكلام، وقد أثبت في آخر رسالته وجهاً آخر للإعجاز ذهب عنه الناس ــ كما يقول ــ وذلك صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس، ويلاحظ أن هذه هى الفكرة التي دار

---

(١) ارجع إلى رسالة الخطابى ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٦-٢١.

حولها بحث عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفوس".[1] ويعتبر الخطابي أول من نادى بتغيير طريقة دراسة البلاغة، ولفت جهده أنظار العلماء إلى بحث النظم بحثاً علمياً دقيقاً، ثم أتى من بعده القاضي الباقلاني فتحدث عن النظم ولكن على طريقته الخاصة.

الباقلاني ت ٤٠٣ هـ

هو القاضي أبو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور[2] له كتاب "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون على أنه لم يصنِّف مثله[3]، ألفه ليكشف عن وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ويذكر كتاب "نظم القرآن" للجاحظ ويرى أنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله وأنه لم يكشف عن إعجاز القرآن وبيان سر الإعجاز، ثم مضى في الكتاب يتحدث عن الإعجاز ويذكر أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المعجز بنظمه وتأليفه، لأنه نزل باللسان العربي الذي يتأتى فيه وجوه الفصاحة، ثم يفتح فصلاً لبيان وجوه الإعجاز القرآني في رأيه ورأى الأشاعرة، وقبل أن يتحدث عن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن يعقد فصلاً[4] يتحدث فيه عن وجوه البديع ليرى هل يمكن تعليل الإعجاز القرآني بها أوْ لا؟ ثم يتحدث عن الاستعارة، ثم عرض للإرداف، ثم ذكر التشبيه،

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٤.

(٢) وفيات الأعيان ١/٤٠٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٩٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ الحلبي ١٩٥٧.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ٢١٤،٢١٥ تحقيق خفاجي ط١ صبيح ١٣٧٠هـ.

ثم عاد إلى الاستعارة ثم ذكر الغلو فالمماثلة، ويذكر المطابقة، ويتحدث عن الجناس، ثم يذكر المقابلة وضرباً آخر يسميه "الموازنة"، ويجعل من البديع "المساواة" ويتحدث عن الإشارة ثم يجمع المبالغة مع الغلو، ثم ذكر الإيغال والتوشيح ورد العجز على الصدر، وصحة التقسيم وصحة التفسير والتكميل والتتميم والترصيع.

وذكر من البديع "الكناية والتعريض" والعكس والتبديل والالتفات، والتذييل والاستطراد والتكرار، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، ويذكر أن وجوه البديع كثيرة جداً وقد اكتفى ببعضها.

ويرى الباقلانى أن هذه الألوان لا تنفرد وحدها بإبراز عناصر الإعجاز في القرآن الكريم، ولا بابراز محاسن الكلام الفنى الجميل، ولكن هذا لا يمنع أنها من أبواب البراعة وأن القرآن الكريم لا يخلو منها.

ثم عقد فصلا بعنوان "وصف وجوه البلاغة" ذكر فيه الألوان البلاغية التي ذكرها الرمانى، ورفض أن تقوم هذه الوجوه وحدها بإبراز عناصر الإعجاز في القرآن الكريم أو في الكلام الفنى بوجه عام، ويرى أنه لابد أن يكون مضموما إليها أمور أخرى يشتمل عليها النظم أو العبارة، ومن ثم فقد لفت أنظار العلماء إلى بيان تلك الأمور التي يشتمل عليها النظم.

ولكن الباقلانى لم يستطيع الكشف عن تلك الأمور وعن سببها، فقد اعتمد عليها وعلى ألوان البديع وأيضاً وجوه البلاغة في الكشف عن جمال النظم، ولكن جاءت المقاييس البلاغية بارزة عنده، إلا أنه لفت أنظار العلماء بقوة إلى البحث عن منشأ الجمال في النظم القرآنى،

وجمال الكلام بوجه عام، كما نقل بحوث النقد من النقد الذاتى، والموضوعى الجزئى، إلى دائرة النقد الشامل العام، حيث يحكم على قصيدة من قصائد الشاعر ثم على الديوان كله أو في جميع شعره فيقول فى ابن المعتز مثلاً بعد أن ذكر له أبياتا : فانظر فى القصيدة كلها، ثم فى جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر.[1] وقد ظهرت آثار الجهود التي بذلها الخطابى والباقلانى في البحث في أساس نظرية النظم عند :

القاضى عبد الجبار ت ٤١٥هـ

هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذانى الاستراباذى شيخ الاعتزال صاحب التصانيف الكثيرة في طريقهم وفى أصول الفقه[2]، ومن مصنفاته "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" وفى الجزء السادس عشر منه عقد فصلاً بعنوان "فى بيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض" عرض فيه رأى شيخه أبى هاشم الجبائى موافقاً إياه وهو إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه، ولابد من اعتبار الأمرين، ومقياس الفصاحة هو الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة لكاتب أو شاعر أو خطيب.

ثم عقد فصلاً[3] وضح فيه رأيه في الوجه الذي له يقع "التفاضل في فصاحة الكلام" تناول فيه أجزاء الكلام، وأدلى برأيه في ذلك، فتكون

---

(١) إعجاز القرآن ص ٢١٩.

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢٠٢/٣ ، ٢٠٣ تحقيق لجنة إحياء التراث بيروت.

(٣) المغنى في أبواب التوحيد والعدل أملاه القاضى عبد الجبار ١٩٧/١٦ : ١٩٩،٢٠١،٢٩٠، تحقيق أمين الخولى نشر وزارة الثقافة دار الكتب.

الكلمة فصيحة بملائمتها لجاراتها وتعلقها بأخواتها وارتباطها بهم ووقوعها في موقعها التي لا ترضى به بدلاً.

وأما المعانى فنرى أنها لا تصلح أن تكون مقياساً للفصاحة، وإن كان لابد منها، وإنما تظهر ميزة الكلام في جزئه الثالث الذي هو ضَمُّ الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة، وهذه تكون بالتقديم أو التأخير الذي يختص به الموقع أو الحركات التي تختص بالإعراب.

وبهذا يكون الامام عبد الجبار هو صاحب الإشارة إلى نظرية النظم، إلا أن الشيخ عبد القاهر الجرجانى شرح هذه النظرية، وقررها، وصورها ودلل عليها ودافع عنها.

وجهد عبد الجبار قد أفاد البلاغة العربية، إذ كشف عن الأسس التي قامت عليها نظرية النظم، التي كان لها أثر خطير في ازدهار البلاغة العربية.

وكان من المعاصرين للشيخ عبد الجبار تليمذه الذي قام ببحث قيم حول مجازات القرآن الكريم أعاد به للصورة البيانية بهاءها ورونقها، ألا وهو:

الشريف الرضى ت ٤٠٦هـ

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الحسينى الموسوى البغدادى الشيعى الشاعر المفلق، له ديوان في أربع مجلدات، ألف كتابه القيم "تلخيص البيان في مجازات القرآن"[١] تناول فيه مجاز القرآن واستعاراته وبين سر الجمال فيها، وأعاد للصورة البيانية

---

(١) شذرات الذهب ١٨٢/٣ : ١٨٤.

رونقها، ويعنى بالمجازات : التي تقابل الحقيقة وليس مذهب العرب في كلامها كما وضح أبو عبيدة.

وتحدث عن النظم القرآني وبراعته في اختيار الكلمات ووضعها في مكانها اللائق بها، وأعطى أمثلة لذلك في القرآن الكريم.

وتحدث عن أسلوب الحذف في أثناء حديثه عن الاستعارة، ولا ينظر إليها وحدها في بيان جمال الآية، إنما ينظر إلى الكلمات الأخرى التي تشتمل عليها، وهو لا ينسى أن يوازن بين الاستعارة والحقيقة كما فعل الرماني وأبو هلال قبله.

ويعرض لأسلوب المشاكلة، ويسميه المقابلة بين الألفاظ، ويجعله من الاستعارة، ويعرض لأسلوب الكناية، واختلط عنده المجاز المرسل بالاستعارة، ويقول عن الألفاظ: "إن الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل في تحسين معارضها وتنسيق مطالعها".[1]

ويقبل القرن الخامس الهجري وتزدهر الدراسات البلاغية ازدهاراً عظيماً فنرى مناهج ثلاثة مختلفة: الأول يقوم به ابن رشيق القيرواني، والثاني ابن سنان الخفاجي، والثالث عبد القاهر الجرجاني والزمخشري، وبذلك تصل البلاغة إلى قمة الازدهار وسيتضح ذلك في الحديث عن مؤلفاتهم الخاصة بالبلاغة والنقد.

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ٣٣٠ للشريف الرضي تحقيق محمد عبد الغني حسن.

ابن رشيق القيروانى ت ٤٥٦هـ

هو الحسن بن رشيق القيروانى، ألف كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده" و"قراضة الذهب" وديوان شعر جمعه الدكتور عبد الرحمن ياغي وغير ذلك كثير.(١)

واستهل كتاب "العمدة" ببيان سبب تأليفه له، فقد وجد الشعر أكبر علوم العرب، ووجد الناس مختلفين فيه، فجمع أحسن ما قاله كل واحد منهم وضمنه هذا الكتاب.

وبدأ الكتاب بمقدمة طويلة عن فضل الشعر، ولا يغض ذلك من قيمة النثر، فقد جاء القرآن منثوراً، وجعله ذلك أظهر برهان لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام.

كما تعرض لموقف النقاد من الشعراء وتكسبهم بالشعر وأول من فعل هذا، واستطرد الحديث عن القدماء والمحدثين من الشعراء وآراء النقاد فيهم، ثم تكلم عن حد الشعر وبنيته مستفيداً من كل ما كتبه السابقون.

ثم يرسم منهجاً يسير عليه الأدباء والكتاب والشعراء وينتقل إلى المطبوع والمصنوع في الشعر والأوزان والقوافي وما يتصل بعمل الشعر.(٢)

---

(١) انظر : الأعلام ١٩٠/٢.

(٢) العمدة لابن رشيق ١٣٤/١ ـ ١٨٩ تحقيق محى الدين ط٢ ١٩٥٥م نشر التجارية.

ويعقد للبلاغة بابا يحشد فيه ما جاء في البيان والتبيين للجاحظ كما يذكر أقوال العلماء قبل الجاحظ وبعده، ويفتح بابا للإيجاز ويتكلم عن البيان، وعرض "للنظم" واعتمد فيه على الجاحظ، وينتقل إلى الحديث عن "المخترع والبديع" في الشعر، والبديع عنده ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، تحدث عن المجاز، وهو عنده مختلط بالمجاز المرسل والمجاز العقلي والاستعارة والتشبيه والكناية، وأخرج البلاغيون بعده التشبيه من المجاز ما عدا ابن الأثير، ويعقد بابا للاستعارة ويعرض للتشبيه ويصل إلى باب الإشارة[1] وهي عنده من غرائب الشعر وملحه، ومن أنواعها : التعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز والتورية، ومن الإشارات عنده اللمحة واللغز واللحن والتعمية والحذف، والتفخيم والإيماء.

لقد درس ابن رشيق أبواب البلاغة وألوان البديع، ومن الملاحظ أنها دارت حول المحسنات التي استنبطت من محاسن الشعر العربي وعيوبه وهى صورة حية لما وصلت إليه الدراسات البلاغية التى توجها بالجهد الكبير والدراسة الواعية عبد القاهر الجرجانى.

ابن سنان الخفاجى ت ٤٦٦هـ

هو الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبى له ديوان شعر مطبوع و"سر الفصاحة" وهو مطبوع أيضاً.[2]

---

(١) العمدة : ٣٠٢/١ - ٣١٢.

(٢) الاعلام للزركلى ١٢٢/٤ دار العلم للملايين.

وكان سبب تأليفه لسر الفصاحة أنه أراد أن يوضحها ويقطع دابر الخلاف حولها، ويرى أن فائدة معرفة الفصاحة ومعرفة نظم الكلام على اختلاف ضروبه وفنونه شئ مهم لمن يبحث عن وجه الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم، ومهم أيضاً لمن يعتقد أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم كان بالصرفة حتى يستطيع أن يقطع أن فصاحة القرآن الكريم كانت في مقدور العرب ومن جنس فصاحتهم.(١)

ويمضى في المقدمة ويذكر أنه سيقدم الكلام عن الفصاحة بنبذ من أحكام الأصوات وأحوال الحروف في مخارجها وتأليفها وحال اللغة العربية وما فيها من المهمل والمستعمل، وكيف نشأت، ثم يشير إلى جهود المتكلمين في دراسة الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام وما هو، وأنه سيضيف إليه كلاماً في مخارج الحروف وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها مما كتبه النحاه، ثم يحقق ما أشار إليه فيفتح فصلاً للأصوات، وآخر للحروف، ثم فصلاً في الكلمة ويتبعه بفصل في اللغة حتى إذا انتهى من هذه المقدمات تحدث عن الفصاحة، ويذكر الفرق بينها وبين البلاغة، فيجعل الفصاحة مقصورة على الألفاظ، والبلاغة وصفا للألفاظ مع المعانى وينتهى إلى أن كل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً(٢).

ثم ذكر حدوداً للبلاغة نقلها من البيان والتبيين ومن الصناعتين، وقال عنها : إنها كالرسوم والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة، ثم تكلم عن شرف الفصاحة وعظم قدر البيان والبلاغة كما فعل السابقون.

---

(١) انظر : فى مقدمة سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى تحقيق الصعيدى ـ صبيح سنة ١٩٥٣م.

(٢) المرجع السابق ٥٩ ـ ٦٥ وما بعدها.

ثم عاد إلى الحديث عن الفصاحة، وقرر أنها نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين: فالأول ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها، والثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض وهو "فصاحة الكلام".

وناقش قدامة بن جعفر في رأيه من أن موضوع الكلام هو المعاني، وناقش الرماني فيما ذهب إليه من أن التأليف على ثلاثة أضرب.[١]

ويرى الخفاجي أن ما ذهب إليه الرماني غير صحيح والقسمة فاسدة، ويمضي في مناقشته له على أساس أن الفصاحة وصف للكلمة من حيث ذاتها، وهو أساس فاسد، ونرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني يطيل الكلام حول بيان وجه فساده في كتابه دلائل الإعجاز.

وقد تعرض ابن سنان كغيره للاستعارة، وذكر لها شواهد من القرآن الكريم قد ذكرها الرماني وتحدث عن الاعتراض أو التتميم أو الإيغال، وعن وضع الألفاظ في موضعها وجعل من هذا الجنس حسن الكناية، وجعل من المناسبة بين الألفاظ في الصيغ السجع والازدواج، وعرف السجع ويوصي الكتاب بألا تكون الرسائل كلها مسجوعة وينتقل إلى تناسب الألفاظ من طريق المعنى[٢].

---

(١) انظر سر الفصاحة ص ١٠٣،١٠٤،١٠٨ ـ ١١٩.

(٢) المرجع السابق ٢٣٣ ـ ٢٧٥.

وكان المنتظر أن يأتي ابن سنان بجديد لمنهجه ودراسته حول الألفاظ منفردة ثم مجتمعة في المعانى، ولكن كل الذي أضافه إلى التراث البلاغى فيما يبدو لى حسن التعليل، ولا ينكر أحد أن ابن سنان حلل ونقد الشواهد نقداً يدل على ذوق أصيل، ولكنه استغل جهد الآمدى والجرجاني والصولى وغيرهم وبنى عليه فجاء نقده محموداً وجهده مشكوراً.

ونأتى إلى معاصره الذي سأوضح للقارئ منهجه الذي سار عليه ليكون الطريق واضحاً أمام دارس البلاغة العربية.

عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، فارسى الأصل جرجانى الدار، متكلم على مذهب الأشعرى، وفقهه شافعى.[١] صنف كتبا كثيرة أشهرها : أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.

أولاً : أسرار البلاغة :

استهله بفاتحة تحدث فيها عن البيان أو التعبير الفنى الجميل وكيف يتسنى للناقد أن يحكم على الشعراء وأشعرهم، وأقلق الشيخ عبد القاهر حيف النقاد على النتاج الأدبى وسبب ذلك اختلافهم على المقياس الصحيح الذي يقاس به الكلام البليغ: أهو اللفظ أو المعنى أو كلاهما معا ؟ فقرر الشيخ أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف وترتيب معلوم، وأنكر أن يكون للفظ مزية في ذاته[٢] ثم مضى يطبق رأيه على الألوان البلاغية

(١) انظر : شذرات الذهب ٣/٣٤٠.

(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ص ٣ تصحيح محمد رشيد رضا مطبعة الترقى ١٣١٩هـ.

والمحسنات البديعية التي استنبطت من محاسن الكلام، ويرى أن الحسن والقبح في جميع ألوان البديع لا يعود إلى اللفظ والجرس، ولكنه يعود إلى شئ يؤكد المعنى في ذهن السامع ويقويه، ويبدأ بالحقيقة والمجاز ويتبع ذلك في التشبيه والتمثيل ثم الاستعارة، وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة، ولكنه بدأ بها، ولعله بذلك أراد أن ينبه على فضلها وعلو مكانتها، ويستفيض في أمثلتها، وأقسامها، ثم يتأنق في بيان جمال المعانى التي تحدثها الألفاظ عند الضم بطريقة مخصوصة.

ثم وضع الأسس التي ينبغى أن يقوم عليها النقد النزيه، وكان ذلك على أساس من البلاغة فتحدث عن الاستعارة بجميع أقسامها والتشبيه والتمثيل وأتى لذلك بالأمثلة الكثيرة التي شرحها وبيّن ما فيها من جمال، ثم رأى أن يتكلم عن السرقات، ولكنه أجل البحث فيها حتى يذكر المعانى وهى عنده قسمان : عقلى وتخيليى ويوضح ذلك بالأمثلة.

وينتقل إلى الحديث عن الأخذ والسرقة والاستعداد والاستعانة[1].

ثم يأخذ في البحث عن حد الحقيقة والمجاز، وفى نهاية الكتاب يعرض لما يعرف: بـ "المجاز بالحذف" وبهذا يكون قد تناول الألوان البلاغية، وكما يقول كانت معروفة مجهولة، فحللها بعد شرحها ووضح مراميها وأكمل قواعدها وأخرجها في ثوب قشيب.

ثانياً : دلائل الإعجاز :

واستدل في هذا الكتاب على أن القرآن معجز في نفسه، وأن إعجازه في نظمه وتأليفه، ورفض الشيخ الجرجانى أن

---

(١) أسرار البلاغة ٢٧٤ ـ ٢٨٣.

يكون المعجز في الكلمة المفردة، كما رفض أن يكون في معانى الكلمة المفردة التي هى لها بوضع اللغة، ولم يرض أن يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات، ولا أن يكون في كلام يجعلون له مقاطع وفواصل، ولا يصح أن يكون الوصف الذي يكون به الإعجاز في سلامة الحروف مما يثقل على اللسان، أو أن يكون في الاستعارة ومن أجل ذلك لم يبق إلا أن يكون القرآن معجزاً في النظم والتأليف.

ونظرية النظم التي خصص عبد القاهر الجرجانى لها كتابه دلائل الإعجاز أراد بها أن يرفع عن علم البيان الضيم الذي لحقه، ويصحح خطأ الناس فيه، فقد صار أفصحهم إذا سمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها معنى سوى الإطناب في القول.

أحس عبد القاهر الجرجانى بجمال النظم العربي وهزته بلاغته فبين أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاما في أى غرض فإنه يبدأ بترتيب المعانى في نفسه أولاً، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ، وعلى ذلك فالذى يطلق عليه النظم : هو ترتيب المعانى في النفس، لا ترتيب الألفاظ في النطق، لأن النظم الذي يريده ويجعله مكان المزية لا يتأتى إلا بالفكر والروية.

أما الشطر الثانى من النظرية فهو : المعانى التي يتعلق بها الفكر ويرتبها في النفس، أهى معانى الكلمات في أنفسها أو معانى النحو؟ أو هما معا؟

وواضح أن الشيخ يلاحظ بدقة كل فرق في المعنى تحدثه الألفاظ إذا ضم بعضها إلى بعض، وأن الكلمة تكون فصيحة بمقدار تلاؤمها مع جاراتها، وأن نظم الكلام بعضه مع بعض يحدث صورة، هذه الصورة هى التي تحكم بمقتضاها على النتاج الأدبى.

ثم قام الشيخ بتطبيقات رائعة على نظريته أَثْرتِ البلاغة العربية وعمقت النظرة إلى الأدب العربى[1]. وقف الشيخ يتأمل كل تصرف يحدثه الأديب فى النظم من تقديم وتأخير، ونَفْيٍ وإثبات، وتعريف وتنكير، وذِكْرٍ وحذفٍ، وإنشاء وخبر، وإيجاز وإطناب، وفصل ووصل، وتقييد وإطلاق، فكل تصرف فى النظم لابد أن يحدث بلاغة فى الكلام بشرط أن يكون هذا التصرف تجيزه القواعد النحوية المشهورة، وهذه التصرفات أو كما يقول الشيخ عبد القاهر : معانى النحو لا نهاية لها.

ولقد أثمرت دراسة "النظم" علماً من علوم البلاغة يسمى علم "المعانى" كما حلا للبلاغيين المتأخرين أن يطلقوا على تلك الدراسة القيمة، والبلاغة العربية تحتاج إلى تطبيق نظرية النظم والوقوف على التصرفات التى يحدثها الأديب فى نظمه، وأيضاً هى فى أشد الحاجة إلى الوقوف على عناصر الإعجاز فى النظم القرآنى، وبهذا العمل تثرى البلاغة وتزدهر وهذا ما نراه عند الزمخشرى.

---

(١) انظر : دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص ٣٨، ٢٧٠ : ٢٨٢. تحقيق المراغى - المكتبة العربية ومطبعتها.

الزمخشرى ت ٥٣٨هـ.

وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى، ولد بزمخشر وهى قرية من قرى خوارزم، كان واسع العلم، متفنناً فى كل علم معتزليا قويا فى مذهبه مجاهراً به حنفياً، وصنف التصانيف البديعة منها "الكشاف" فى تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله.(١)

ابتدأ الزمخشرى حيث انتهى السابقون، إذ رأى بثاقب فكره أن أسرار النظم القرآنى والنكت البلاغية التى يشتملها لا يبرزها إلا علم النظم، ومن أجل ذلك ألف كتابه وسماه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل" وطبق نظرية الشيخ عبد القاهر تطبيقاً عملياً على جميع سور القرآن الكريم موضحاً أسرار النظم القرآنى ولطائفه الدقيقة.

ونستطيع أن نقول إن الزمخشرى لم يكتب كتابة مستقلة خاصة بالبلاغة، أو بيان إعجاز القرآن الكريم، بل أخذ يكشف عن الأسرار والنكت والدقائق البلاغية التى يتضمنها نظمه المعجز، وذلك أثناء تفسير القرآن الكريم.

والزمخشرى ـ وإن ذكر علمى المعانى والبيان ـ ليس هو أول من ابتدع تقسيم علوم البلاغة إلى معان وبيان وبديع، لأننا وجدناه لم يلتزم بهذا الفصل فى تفسيره وبيانه للأوجه البلاغية فى كثير من آيات القرآن الكريم، بل كان أحياناً يذكر ألوانا هى من صميم البيان ثم يعقب عليها بقوله :"وهذا من الصنعة

---

(١) وفيات الأعيان ٢٥٤/٤.

البديعية"[1]. مما يدل على أن حدود كل علم من علوم البلاغة لم يتضح في ذهنه الوضوح الكافي حتى يلتزمها في التطبيق، ولا يعدو الأمر أن يكون مجرد تسمية جرت على لسانه، وهذا لا يكفي للحكم بإسناد ابتداع التقسيم إلى مؤلف أو عالم معين، مالم ينعكس ذلك على أسلوب تناوله لمسائل كل علم، وإنما الذى ابتدع التقسيم فكراً وتطبيقاً هو السكاكى فى كتابه "مفتاح العلوم".

وبانتهاء حديثى عن الزمخشرى أكون قد طويت صحفة مشرقة للبلاغة التعليمية التى وضعها الشيخ عبد القاهر الجرجانى والشيخ الزمخشرى فى مسارها الطبيعى والتى تبحث عن عناصر الجمال فى الأدب العربى وعناصر الإعجاز فى القرآن الكريم.

وبعد هذين العالمين ـ عبد القاهر الجرجانى، الزمخشرى ـ قام بتدريس البلاغة وعلومها طائفة من العلماء تربوا تربية علمية منطقية محددة، كان اهتمامهم يدور حول تلخيص بلاغة الشيخ عبد القاهر، وأحياناً يضيفون إليها شيئا من بلاغة الزمخشرى، ورسموا لأنفسهم منهجاً لا يحيدون عنه، يهتم هذا المنهج بتحرير القواعد وضبطها، وتقسيمها وتفريعها، ووضع الحدود لها، وصبغوا ما كتبوه عن البلاغة بثقافتهم من الفلسفة والمنطق وأصول الفقه.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ٥٣/١ للزمخشرى مطبعة مصطفى البابىط ١٩٧٢م.

ومن حق طالب البلاغة ألا يضل بين مجادلات منطقية تنسيه غرضه الأصلى من تعلم البلاغة، وهو تكوين الفنية الأدبية التى تمكنه من تذوق عناصر الجمال فى الأدب العربى بعامة.

والذى حدث أن التلخيصات البلاغية التى صنفوها كان يشوبها الغموض، فكثرت عليها الشروح والحواشى أو التقريرات حتى أصبحت دراساتهم فى خدمة كتب البلاغة لا فى خدمة البلاغة، وبهذا أصبحت القواعد البلاغية لا تربى ذوقاً ولا ترهف حساً فقد أصابها الجمود.

ولعل أول من قام بتلخيص بلاغة عبد القاهر والزمخشرى هو فخر الدين الرازى.

فخر الدين الرازى ت ٦٠٦ هـ

والرازى : هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الرازى الخطيب الشافعى له تصانيف مفيدة فى فنون عديدة(١).

والذى يهمنا منها كتابه : "نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز" استهله بالثناء على علم البيان خاصة، ثم نوّه بالشيخ عبد القاهر وكتابيه الدلائل، والأسرار، وأشاد به فى استنباط أصول علم البيان، لكنه يرى أن الشيخ عبد القاهر أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب فى الكلام كل الإطناب، فواضح أن الكتاب اختصار لما كتبه الشيخ عبد القاهر، فى صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية، وتنحصر فروعها وأقسامها حصراً دقيقاً، وقد رتب كتابه على مقدمة وجملتين(٢).

---

(١) وفيات الأعيان ٣٨١/٣ ، ٣٨٤.

(٢) انظر : تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها من ص ٣٨٩ : ٤٠٧.

ويتضح من الكتاب فى ذكره للقواعد البلاغية وجمله وأبوابه وفصوله وأطرافه وأركانه كيف وضعت بلاغة الشيخ عبد القاهر والزمخشرى فى وسط تلك الأبواب والفصول والتقسيمات والتفريعات والحديث المنطقى مما مهد الطريق لمن أتوا بعده إلى وضع البلاغة فى حدود وأبواب وفصول محددة تحديداً علمياً منطقياً منقطع النظير، وشيخ هذه الطريقة إلى يومنا هذا هو أبو يعقوب السكاكى.

أبو يعقوب السكاكى ت ٦٢٦هـ

هو يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على أبو يعقوب السكاكى سراج الدين الخوارزمى إمام فى النحو والتصريف والمعانى والبيان والاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر فى علم الكلام وسائر الفنون، وله كتاب "مفتاح العلوم" الذى يعد غرة مصنفاته.(١)

ويذكر من أسباب تأليف كتاب "مفتاح العلوم" التمكن من فهم مراد الله فى كلامه، ثم إدراك إعجاز القرآن، ووجه إعجازه هو بلاغته وفصاحته، ولا يمكن إدراكه إلا بالذوق. وطريق تربية الذوق عنده طول ممارسة علمى المعانى والبيان لمن رزقه الله طبعاً سليماً.

لم يقتصر عمل السكاكى على ما فى كتب الجرجانى "الدلائل والأسرار" بل استدرك مافات عبد القاهر، وتمم ما بدأه من تمييز الأنواع الملتبسة، وتقرير القواعد التى جعلت من البلاغة علما ثابت الأصول، بعد أن رتب المسائل وبوبها تبويبا جعلها أقرب إلى الدقة

---

(١) الأعلام ٨/٢٢٢.

والإحكام، والملاحظ أنه حاط بحوثها بالجدل والفروض الخيالية، واستند إلى العقل في استنباط القواعد التي كان يجب استمدادها من الشواهد العربية المختارة.

ويكفي القول بأن السكاكي قد جعلهما ـ الدلائل والإعجاز ـ الأساس الذي أرسى عليه قواعد القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" في البلاغة، وذلك بعد الاستفادة من التلخيص الذي وضعه "الرازي ت ٦٠٦هـ" على كتابي الجرجاني والمسمى "نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.[١]

ويذكر الأستاذ نعيم زرزور[٣] أن عمل السكاكي أشمل، فقد أحاط بكثير من قواعد البلاغة المبعثرة في أمهات الكتب، وبعد الترتيب والتبويب فصل فنون البيان، وذلك لسعة اطلاعه وتمكنه من علوم المنطق والفلسفة واهتمامه بهما إلى حد جعل أسلوبه جافا، فاستغلق فهمه في أكثر الأحيان على غير المتعمقين، وجعل الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول : في علم الصرف، القسم الثاني : في علم النحو، والقسم الثالث : في علمي المعاني والبيان.

وفي القسم الثالث، ينتهي السكاكي من تلخيصه لعلمي البلاغة : المعاني والبيان، وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية، وما يتبعهما من المحسنات المعنوية واللفظية، وهو وإن كان قد تم له ما أراد من ترتيب المسائل البلاغية ترتيباً قائماً على أساس منطقي، واستوفى حدودها وأقسامها وتعاريفها

---

(١)،(٣) انظر : مفتاح العلوم للساكي ص ج،د ضبط وشرح الأستاذ / نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت.

حتى أصبحت تضارع العلوم الأخرى كالنحو والصرف، إلا أنه بطريقته هذه يعتبر المسئول الأول عن تحجر البلاغة، وتعقيدها بما أشاع فيها من كثرة التقسيمات والتفريعات ويمازج فيها من علوم المنطق والفلسفة.

وممن ساروا فى طريق التلخيص :

ابن الزملكانى ت ٦٥١هـ :

هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف كمال الدين أبو المكارم، كان بارزاً فى عدة فنون[(١)] وأهم كتبه البلاغية "التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" وقد استهله بمقدمة أشاد فيها بعلم البيان الذى فيه القليل من المصنفات ـ كما يقول ـ[(٢)] ومن أجمعها كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ويتضح منهج ابن الزملكانى فى كتابه، فقد جعله عرضاً وتلخيصاً لآراء الإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه الدلائل، ترديداً لأمثلته مع ترتيب وتهذيب.

ويقول إنه رتب الكتاب على سوابق، ومقاصد، ولواحق، أما السوابق[(٣)] فقد وزعها على ثلاث مقدمات : المقدمة الأولى فى فضل علم البيان، والمقدمة الثانية فى بيان حصر مواقع الغلط فى اللفظ، والمقدمة الثالثة فى طريق تحصيله، وأما المقاصد فتجمعها ثلاثة أركان،

---

(١) الأعلام ٤/١٧٦.

(٢) التبيان فى علم البيان المطلع على إعجار القرآن ص ٣٠ تحقيق د/ أحمد مطلوب، د/ حديجة الحديثى مطبعة العانى ببغداد ط١ ١٩٦٤م.

(٣) التبيان ص ٢١ – ٣٣.

تحدث فى الركن الأول منها عن الدلالات الإفرادية بادئاً بالحقيقة والمجاز، ويجعل المجاز على ثلاثة أقسام : الكناية والاستعارة والتمثيل على الترتيب وينتقل إلى الركن الثانى، ويجعله فى مراعاة أحوال التأليف بين المفردات والجمل، حتى تكون أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط.

ويصل إلى الركن الثالث[1] ويتحدث فيه عن معرفة أحوال اللفظ وأسماء أصنافه فى علم البديع ويذكر فيه ستة وعشرين لوناً من ألوان البديع. ويتكلم فى اللواحق عن بيان الجهة التى تحصل بها البلاغة والإعجاز فى القرآن الكريم، ويبطل أن يكون العجز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة، أو أن الإعجاز وقع بالنسبة إلى العوارض من الحركات والتأليف فقط، أو أنه وقع بالنسبة إلى المعانى فقط، أو أنه بالصرفة، ويقول : إذا بان بطلان هذه الآراء الأربعة تعين أن يكون الإعجاز راجعاً إلى توخى معانى النحو وأحكامه فى النظم.

ثم يرد بعض الشبه التى أثارها المخالفون ضد نظرية النظم على نحو ما فعل الإمام عبد القاهر، وبذلك ينتهى الكتاب.

تلك كانت تلخيصات البلاغة العربية التى ازدهرت على يدى الإمامين عبد القاهر والزمخشرى، ولم يكتب الذيوع والإنتشار إلا لواحد منها وهو القسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكى، وذلك باقبال العلماء عليه شرحاً وتلخيصاً ونظماً، وممن قام بتلخيصه بدر الدين بن مالك والخطيب القزوينى.

---

(١) التبيان ص ١٦٣ : ١٩٠.

أولاً : بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦هـ

هو بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك شيخ العربية وقدوة أرباب المعانى والبيان والبديع والنحو والعروض والمنطق وأصول الفقه، وله مؤلفات قيمة وشروح، فشرح ألفية والده ولاميته فى الصرف، وله "المصباح فى المعانى والبيان والبديع"(١)

ولعله أول من لخص القسم الثالث من "مفتاح العلوم" للسكاكى، فى ذلك الكتاب الذى استهله بالإشادة بعلم البلاغة والفصاحة وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فى علم المعانى، والثانى: علم البيان، والثالث: فى علم البديع، ومضى على طريق السكاكى يلخص ما قاله، ويخفف أعباءه المنطقية والفلسفية والكلامية التى أودعها مقدمات الأقسام والفصول، ونقل الحديث عن البلاغة فى أول كتابه مخالفاً بذلك السكاكى الذى تحدث عنها بعد الفراغ من علمى المعانى والبيان، وتابع السكاكى فى رد الألوان البديعية إلى الفصاحة اللفظية والمعنوية، إلا أنه خالفه فأطلق عليها اسم البديع، وبصنيعه هذا تم تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة من معان وبيان وبديع، كما زاد على السكاكى فى ذكر المحسنات البديعية وجعل أنواعاً منها تعود إلى الفصاحة اللفظية، وبانتهاء البديع وحديثه عنه ينتهى الكتاب.

---

(١) شذرات الذهب ٣٩٨/٥، ٣٩٩.

ثانياً : الخطيب القزوينى ت ٧٣٩هـ

هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى الشافعى العلامة[(١)] أشهر مؤلفاته "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح فى المعانى والبيان" وتدل مؤلفات الخطيب فى البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات فى البلاغة وفى مقدمتها أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى "ومفتاح العلوم" للسكاكى.

"وتلخيص المفتاح" عبارة عن مختصر صغير للمفتاح فى البلاغة أو للقسم الثالث منه، ولخص فيه ذلك الكتاب القيم، وقدم فيه وأخر وحذف واختصر، وبين فيه بعض آرائه التى لم يرتضها علماء هذه الفنون، وتأثره بعبد القاهر الجرجانى مرجعه إلى المفتاح نفسه الذى اعتمد فيه السكاكى على عبد القاهر إلى حد بعيد.

وعلى "تلخيص المفتاح للخطيب" كثير من الشروح والحواشى والتقارير مما يدل على مدى شهرته العلمية عند الباحثين، ولا يزال منهج الخطيب فى البلاغة وفى تلخيصه بالذات هو المنهج العلمى فى علوم البلاغة إلى عصرنا الحاضر.[(٢)]

ثم ألف الخطيب كتابه "الإيضاح فى البلاغة" على ترتيب التلخيص وبسط القول فيه ليكون كالشرح له، فأوضح مواضعه المشكلة، وفصل

---

(١) شذرات الذهب ١٢٣/٦

(٢) انظر : الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ١١/١ : ١٦ شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجى ط٢ الكليات الأزهرية. القاهرة.

معانيه المجملة، واعتمد على الدلائل والأسرار والمفتاح وغير هذه المؤلفات فى بحوثه ودراساته فيه، ويشير الخطيب إلى هذا فى مقدمة كتابه الإيضاح.

وكتاب الإيضاح عمل جليل فى البلاغة، لحسن ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه، وفى استيعابه واستقصائه وتحليله، وجمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع، وفى أسلوبه الأدبى وكثرة تطبيقاته الأدبية، وهو أهم كتاب دراسى فى البلاغة فى العصر الحاضر.

شروح التلخيص :

هذا وممن شرحوا كتاب "التلخيص" للخطيب القزوينى أحمد بن على ابن عبد الكافى بهاء الدين أبو حامد السبكى ت ٧٧٣هـ فى كتابه "عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح"، ومسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازانى ت ٧٩٢هـ فى كتابه "المطول" وله أيضاً مختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى، وابن يعقوب المغربى "له مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح، وجمعت هذه الثلاثة تحت عنوان "شروح التلخيص" فى أربعة أجزاء وقد طبع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية الدسوقى على شرح السعد، هذا وقد بدأ فى صلب الصفحة بشرح السعد، وثنى بمواهب الفتاح، وثلث بعروس الأفراح، وصدر الهامش بالإيضاح، وبعده حاشية الدسوقى.

ولما كانت هذه الشروح من أجلّ الشروح على تلخيص المفتاح فقد طبعت مرتبة ترتيباً بديعاً لم يسبق له نظير حيث جمعت كلها فى صفحة واحدة مفصولاً بعضها عن بعض بجداول مع اتفاق أبحاثها.

هذا ولم تكن البلاغة السكاكية وحدها، بل كان يشاركها في ميدان البحث البلاغي دراسات أخرى ـ منذ عصر السكاكي ـ اتجهت اتجاهاً مغايراً لطريقته فأكثرت من عرض الشواهد الأدبية وعقد الموازنات بينها، وعزفت عن المباحث المنطقية والفلسفية والكلامية إلى حد ما، ويمثل هذا الاتجاه ابن الأثير.

ابن الأثير ت ٦٣٧ هـ

في كتابه المشهور "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"

وابن الأثير هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين(١) مهر في النحو واللغة وعلم البيان، حفظ شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي، وأشهر مصنفاته كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وهو إحياء لمنهج ابن سنان الخفاجي(٢) والدافع لتأليفه هذا الكتاب هو أهمية علم البيان لتأليف النظم والنثر الذي يعد بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام.

ولم يهتم الكتاب ببيان أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ويبدو أنها في نظر ابن الأثير مسألة مفروغ منها ومسلم بها، وإنما كانت عنايته منصرفه لبيان طرق تعلم صناعة الكتابة

---

(١) وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ : ٣٩٧.

(٢) انظر : ابن سنان الخفاجي ص٩٧ من هذا البحث.

والشعر، والقرآن الكريم عنده هو المثل الأعلى الذى يجب أن يُحتذى ويتمرس به فى صناعة الكتابة، والكتاب أربعة أجزاء.

ولقد تأثر الكاتب بقدامة فى "نقد الشعر"، وبالآمدى فى كتابه "الموازنة"، وابن سنان فى "سر الفصاحة"، ولقد وزّع ابن الأثير مباحثه بين اللفظ والمعنى، وبنى الكتاب على مقدمة ومقالتين.

فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان، والمقالتان تشتملان على فروعه، فالأولى: فى الصناعة اللفظية، والثانية فى الصناعة المعنوية، ويقول: إن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم.(١)

ويبدأ بالحديث عن المباحث التى تشتمل عليها المقدمة.(٢) فيتحدث عن موضوع علم البيان وهو الفصاحة والبلاغة، ثم يبين آلات علم البيان وأدواته من معرفة علم النحو وعلم اللغة وأمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وما كتبه البلاغيون فى هذه الصناعة ثم يوضح رأيه فى صاحب هذه الصناعة، فيشترط فيه حفظ القرآن الكريم لما فيه من فوائد جمة، فإذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذه الأساس والمرجع فى الاستفادة منه، ومن الأهمية بمكان وجود الطبع الذى إن لم يوجد فلا تغنى تلك الآلات شيئاً.(٣)

---

(١) انظر : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ٣٨،٣٧/١ تحقيق الدكتور بدوى طبانه والحوفى ط١ سنة ١٣٧٩م نهضة مصر.

(٢) المثل السائر ٢٩/١ : ٢٠٩.

(٣) تاريخ نشأة البلاغة العربية ٤٥٣ ، ٤٥٤ بتصرف.

ويتحدث فى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية ويقسمها إلى قسمين: قسم فى المعانى مجملاً، وقسم فى الكلام مفصلاً، ويتحدث فى القسم الأخير عن باقى موضوعات الكتاب، ويتضح من عرضه لموضوعات الكتاب أنه يجعل البيان شاملاً للمعانى والبديع، وكان يعاصره من كتّاب الإعجاز ابن أبى الاصبع المصرى.

ابن أبى الإصبع المصرى ت ٦٥٤ هـ

هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبى الاصبع المصرى، صنف كتاب "تحرير التحبير فى البديع" لم يصنف مثله.[1] وبديع القرآن، أما المؤلف الأول فهو فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، وأما الثانى فقد اختصره من كتابه الأول ليكون خاصاً ببيان إعجاز القرآن.

ويرى ابن أبى الأصبع أن القرآن الكريم معجز بما فيه من المحسنات البديعية كما يتضح من عرضه لهذه الألوان فى كتابيه"تحرير التخبير" و"بديع القرآن" مخالفاً بذلك الإمامين الباقلانى وعبد القاهر الجرجانى كما سبق إيضاحه.

ويأتينا الإمام الحجة :

ابن قيِّم الجوزية ت ٧٥١ هـ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلى،[2] وهو من أعلام عصره فى الفقه

---

(١) شذرات الذهب ٥/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) شذرات الذهب ٦/١٦٨ : ١٧١.

والحديث والعلم بالمذاهب والنحل، وله مصنفات كثيرة ونسب إليه فى البلاغة "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان"[1].

وقد استهله بمقدمة أشاد فيها بفضل القرآن، وأن الله جعله حجة لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأنه اعجز العرب ببلاغته وفصاحته، وقد أودع فى كتابه أصولاً من علم البيان نقلها عن كتب علماء علم البيان التى اطلع عليها، وأضاف إليها فوائد نقلها عن ألسنة أكابر العلماء، مع ما قام به من جهد فى إظهار مهمل وتفصيل مجمل ؛ إحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن.

وكان يعاصره :

العلوى اليمنى ت ٧٤٥ هـ

هو يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم الحسينى العلوى الطالبى، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم فى اليمن، له مصنفات مختلفة، ويروى أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره، ومن مؤلفاته فى البلاغة :

"الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" وهو مطبوع فى وثلاثة أجزاء، و"الإيجاز لأسرار كتاب الطراز".[2]

---

(١) وطبع هذا الكتاب طبعة أخيرة فى مكتبة الخانجى بتحقيق الدكتور زكريا سعيد على تحت عنوان: مقدمة تفسير ابن النقيب فى علم البيان والمعانى والبديع وإعجاز القرآن. للإمام أبى عبد الله جمال الدين محمد ابن سليمان البلخى المقدسى الحمفى الشهير بابن النقيب والمتوفى ٦٩٨هـ والمطبوع خطأ بعنوان : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيم الجوزية.

أقول : وفى الطبعة الحديدة دراسة جديدة يحسن الرجوع إليها.

(٢) انظر : الأعلام للزركلى ١٤٣/٨، ١٤٤.

وقد استهل الطراز بمقدمة أشاد فيها بعلم البيان لأنه المطلع على أسرار إعجاز القرآن، والباعث على تأليفه الكتاب : رغبة جماعة من إخوانه فى كتابة كتاب فى البلاغة يستنيرون به فى فهم الكشاف للزمخشرى، فألف العلوى لهم كتاب الطراز الذى رتبه على فنون ثلاثة:

الفن الأول : يتضمن المقدمات، وهو تفسير علم البيان، ويقال له علم المعانى والبيان جميعاً.

والفن الثانى : يتضمن المقاصد، ويبدأ بالحديث عن الدلالات والمعانى، ويصل إلى المجاز، ويدرج تحته الاستعارة والكناية والتمثيل.

والفن الثالث : يتضمن التكميلات، وفيه تحدث عن فصاحة وبلاغة القرآن الكريم فى حروفه وألفاظه وتراكيبه، ثم طبق قواعد علم البيان وعلم المعانى وعلم البديع على الآية الكريمة :

"وَقِيلَ يَا أَرضُ ابلَعِي مَاءَكِ وَيا سَمَاءُ أَقِلِعِي وَغيضَ المَاء وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجُودِيِ وَقِيلَ بُعدَاً لِلقومِ الظَّالِمِينَ"(١)

ثم أخذ يلخص وجوه النظم والأسرار المتعلقة بالبلاغة والفصاحة، ويمثل لها من القرآن الكريم، مؤكداً أنها جاءت فيه على أكمل وجه وأتمه، وأن القرآن فى أعلى طبقات الفصاحة، ثم انتقل إلى القول فى إعجازه وهما مسلكان أحدهما من جهة التحدى، وبيان تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بالقرآن، وهم نهاية الفصاحة والبلاغة، فعجزوا عن معارضته ولذلك فهو معجز والآخر الثانى : أن القرآن معجز من جهة العادة، وتقريره أن الإتيان بمثل كل واحدة من سور

---

(١) سورة هود الآية ٤٤.

القرآن، فهو معجز مع توفر دواعيهم على إبطال أمره، فهو لا محالة من أبهر المعجزات، وهو معجز أيضاً لخروجه عن المألوف والمعتاد[1].

ولقد استقى المؤلف مادة الكتاب، من مصادر كثيرة يظهر فيه بوضوح اتجاه ابن الأثير واتجاه الإمام الرازى مع السكاكى، لذلك كان الكتاب مزاوجة بين هذين الاتجاهين.

هذه كانت الدراسات التى اتجهت اتجاهاً مغايراً للطريقة السكاكية، سواء كانت مغايرة لها مغايرة تامة كما اتضح عند ابن الأثير وابن أبى الإصبع وابن القيم الجوزية أو جاءت مزاوجة بين الاتجاهين كما يتضح من كتاب الطراز للعلوى.

لم تستطيع هذه الدراسات أن تستقل بدراسة البلاغة أو البديع، وقدر للطريقة السكاكية أن تسيطر على الدراسات البلاغية، وتسير فى طريق التلخصيات والشروح والحواشى والتقريرات التى لا تفيد البلاغة شيئاً، وحتى البديع الذى رأيناه عند ابن أبى الإصبع سيطرت عليه هو الآخر البديعيات فحولته إلى مختصرات أشبه بالإشارات والرموز، ومن ثم كثرت عليه الشروح والحواشى التى ليست من البديع فى شيء وظلت البلاغة والبديع تنوء بهذه الأعباء حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى[2].

---

(١) انظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ٣/٣٦٧ : ٣٨٦ راجعه وضبطه لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

(٢) ولقد كثرت الشروح والحواشى إلى القرن الثالث عشر الهجرى، وحصرتها بعض الكتب التى كان لها تمام الفائدة فى الشرح وهو كتاب "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" لعبد الرحيم العباسى ت ٩٦٣هـ وهو من أربعة أجزاء حققه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد عالم الكتب بيروت.

وهذه الكتب التى عرضتها تعتبر من أهم الكتب التى تمثل تلك المناهج فيتميز القرن الرابع عشر الهجرى بأنه مرحلة النهوض بالبلاغة حيث تحررت الأساليب البيانية من أثقال البديع بفضل النهضة الأدبية التى ازدهرت فى أوائل هذا القرن، لكن مازالت الطريقة السكاكية مسيطرة على الدراسات البلاغية فتتخذ شكل شرح وحاشية وتقرير، فهذا الشيخ محمد الأنبابى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣١٢هـ يكتب تقريراً على المطول لسعد الدين وتقريرا على المختصر له، وحاشية على الرسالة البيانية للصبان.

والشيخ محمد البسيونى المتوفى سنة ١٣١٠هـ مؤلف (حسن الصنيع فى المعانى والبيان والبديع) وقد التزم الطريقة السكاكية لكنه تحرر من المناقشات والاعتراضات والتقريرات وسار على نهجه الشيخ أحمد الحملاوى المتوفى سنة ١٣٥١هـ فى (زهر الربيع) والأستاذ أحمد الهاشمى فى (جواهر البلاغة) والأستاذ عاطف البرقوقى فى تعليقه على التلخيص للقزوينى وغيرها.

وقد تميزت هذه المؤلفات بالإكثار من الأمثلة، ولكنها لم تتعمق فى بيان عناصر الجمال اللغوى لما أوردوا من أمثلة.(١)

سيطرت البلاغة السكاكية على الرغم من النداءات المتكررة لإصلاح وتجديد البلاغة العربية، حتى كان الشيخ محمد عبده الذى رأى العودة بالدراسات البلاغية إلى عصرها المزدهر، عصر الإمام عبد

---

(١) انظر : نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفه ص ٤٨١ ط١ سنة ١٩٧٨ دار الطباعة المحمدية.

القاهــر الجرجانــى فــدرس كتابيــه دلائـل الإعجــاز، وأســرار البلاغة، ثم يأتى:

سيد قطب ت ١٩٦٦م بكتاب "التصوير الفنى فى القرآن"

فعرض فيه المناهج البلاغية ونقدها، وأظهر فكرة تجديد الدراسات البلاغية، وكان الحافز له على تأليف الكتاب هى القاعدة الكبيرة للكتاب وهى التصوير الفنى فى القرآن.(١)

استهل المؤلف كتابه بالحديث عن سحر القرآن للعرب منذ نزوله، ومنبع السحر فى القرآن هو جماله الفنى، وعرض لفهم السابقين له، وأعجبه الزمخشرى والإمام عبد القاهر الجرجانى وهذا من كتاب الإعجاز وذاك من المفسرين.

وكتاب "التصوير الفنى فى القرآن" فيه خصائص مشتركة فى التعبير عن جميع الأغراض سواء كان الغرض تبشيراً أو تحذيراً أو قصة وقعت أو حادثاً سيقع أو دعوة للإيمان أو وصفاً للحياة الأخرى، ويتحدث عن التصوير الفنى فيجعله الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن الكريم فهو يعبر بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهنى والحالة النفسية، وعن المشهد المنظور وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب ص ٢٩، ٣٠ دار المعارف، وللمؤلف كتاب : "مشاهد القيامة من القرآن" جمع المؤلف فيه "المشاهد" القيامة التى تتوافر فيها الصورة والحركة والإيقاع، وهى على كثرتها خلت من تكرار المنظر، فكانت إعجازاً من الإعجاز.

ويطالب بالتوسع فى معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن، فهو تصوير باللون وبالحركة وبالتخيل والنغمة التى تقوم مقام اللون فى التمثيل، ويشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق فى إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان.

وواضح من هذا النقل أنه يرى أن وجه الإعجاز فى القرآن الكريم هو التصوير الفنى، ويتوسع فى مفهومه ليشمل القرآن كله.

ويمضى فى الكتاب موضحاً بلاغة التصوير الفنى فى القرآن ويقف أمام الحركة التى يسميها ظاهرة التخييل الحسى، وكذلك ظاهرة أخرى هى التجسيم للمعنويات المجردة وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم وهاتان ظاهرتان بارزتان فى التصوير الفنى فى القرآن[١] وينتقل إلى الحديث عن التناسق الفنى[٢]، ويقول إنه يبلغ الذروة فى تصوير القرآن وإنه ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما نبه إليه بعض الباحثين فى بلاغة القرآن، ومنها مالم يحسه أحد منهم حتى الآن، والتناسق فى تأليف العبارات بتخير الألفاظ ثم نظمها فى نسق خاص تبلغ فيه الفصاحة أرقى درجاتها، والتناسب فى الانتقال من غرض إلى غرض، ومنها التناسق النفسى بين الخطوات المندرجة فى بعض النصوص والخطوات النفسية التى تصاحبها.

ويتحدث عن بلاغة القصة فى القرآن[٣] وقيامها بالغرض الدينى على أتم وجه وأدقه، وأبرز الخصائص الفنية فى عرضها إبرازا لا يدع زيادة لمستزيد.

---

(١) انظر : التصوير الفنى فى القرآن ص ٥٩ ـ ٧٠.

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٧١ ـ ١١٥.

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١١٦ ـ ١٧٩.

ويعود فيؤكد أن للقرآن طريقة موحدة فى التعبير، يتخذها فى أداء جميع الأغراض على السواء حتى أغراض البرهنة والجدل، وهى طريقة التصوير التشخيصى بوساطة التخييل والتجسيم[1].

ويلقانا كتاب الاستاذ الدكتور : أحمد بدوى وهو "من بلاغة القرآن"

وقد بدأه بمقدمة رسم فيها المنهج الذى يجب أن يكون لدراسة النص الأدبى ودراسة كاملة ملخصة، أن تدرس مفردات النص أولاً دراسة فنية، لتبين مدى الإصابة فى اختيارها ومدى تمكنها فى موضعها من جملتها وقوة ربطها بأخواتها، ثم تدرس الجملة فى النص لإدراك سر قوتها وجمالها. والمجال فسيح أمام علوم البلاغة الاصطلاحية التى تدرس أسباب الجمال فى تكوين الجملة العربية، فتبحث لِمَ قُدِّم هذا الجزء من الجملة؟ ولم أخر ذاك ؟ ولماذا كان الحذف أو الإثبات ؟ ولم جاء هنا ـ مثلاً ـ التعريف أو التنكير؟ ولم استخدم الخبر فى موضع الإنشاء؟ إلى غير ذلك من أبحاث تتصل بالجملة والجملتين، ثم يدرس النص برمته فينظر إليه على أنه وحدة متصلة الأجزاء فيرى مدى ارتباط بعضه ببعض، ومدى تضافر أجزائه على رسم الصورة التى يريد النص توضيحها، ومدى الإصابة فى ترتيب الأجزاء، كى يؤدى سابقها إلى لاحقها، حتى إذا تم النص صارت فكرته واضحة فى النفس ومؤثرة، ولابد من دراسة المعانى التى احتواها النص لمعرفة القوى منها والضعيف، وحاله دخل فى تكوين الصورة، وما هو دخيل، وكيف نسقت هذه المعانى حتى التأمت وحدة تنبض بالحياة.[2]

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٩٠.

(٢) من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى ص هـ بتصرف نشر مكتبة نهضة مصر مطبعة لجنة البيان العربى.

وعلى هذا المنهج سار المؤلف فى كتابه سالف الذكر يبحث عن بعض أسرار سمو القرآن الكريم وقسّمه على كتابين: الكتاب الأول خصصه لدراسة بلاغة القرآن فى النظم والأسلوب، واستهله بمقدمات تمهيدية تحدث فيها عن العمل الأدبى، وختمه بالحديث عن مزايا القرآن وجمال أسلوبه، أما الكتاب الثانى فيخصصه للحديث عن المعانى التى تناولها القرآن الكريم.

إن هذا المنهج الذى سار عليه الأستاذ الدكتور أحمد بدوى وهو الذى يبحث عن أسرار التراكيب وبيان عناصر الجمال فيها يلقى الآن كل تشجيع وتقدم وازدهار حتى تأخذ البلاغة العربية مكانها وتفخر بأبنائها فى عصرنا الحديث، ولعل ما قامت به المعاهد العالية والكليات الجامعية المعنية بالدراسات العربية بتوجيه أنظار أبنائها إلى البحث فى ميدان البلاغة والنقد، كان سبباب فى ظهور رسائل جامعية كان لها أثرها فى نهضة البلاغة منها :

أثر قضية اللفظ والمعنى فى تدوين البلاغة العربية للدكتور على العمارى.

وأثر القرآن فى تطور النقد العربى للدكتور محمد زغلول سلام.

وبلاغة الزمخشرى للدكتور محمد أبو موسى.

وهذا ييسر لنا الطريق الذى نسير فيه، حيث ينبغى علينا فى تشكيل بلاغتنا الحديثة أن نعنى ببيان الأساليب الأدبية المتفاوتة وفنون الأدب المختلفة، حتى نلائم بين بلاغتنا وأدبنا الحديث وأساليبه وفنونه، مع الحرص على الانتفاع بتراث أسلافنا البلاغى القيم الذى أودعوا فيه خصائص لغتنا الأدبية ومقوماتها البيانية والبلاغية.

الخاتمـــــة

لعل ما يصبو إليه من أراد القراءة أن يستخلص ما يفيده، وهذه الخاتمة التى اتجهت إليها راجية منها أن يُلم الباحث فى ميدان البحث البلاغى بما هو مفيد له في بحثه، وبما يجب أن يسير عليه حتى يصل إلى هدفه المنشود من التوصل إلى فهم البلاغة عن طريق البحث فيها وفى ذخائر ونفائس العربية وعلمائها، خاصة علماء البلاغة وما توصلوا إليه من نتائج وما بذلوا فى هذا العلم من جهود.

ومن أجل هذا فلقد اجتهدت فى تعريف البحث البلاغى اعتقاداً منى أنه بحث مستقل عن البحث فى اللغة، أو الأدب فى حد ذاته أو عصوره المختلفة، حتى إننى حاولت في كل خطوة من خطوات البحث البلاغى أن أعطى مثلاً ـ للسير فى خطوات البحث ـ لكيفية الاتجاه إلى الناحية البلاغية دون التركيز على الناحية الأدبية، وهو خيط دقيق يفصل بينهما ـ الأدب والبلاغة ـ وهو كيفية الأداء؛ لأن الأديب يتحدث عن فكرة معينة بأسلوب أدبى فيه هذه العاطفة التى تترجم الفكرة بأحاسيس مصورة ومجسمة بالصوت والحركة والألوان، وكل هذا بطريقة الأداء البلاغي من تشبيه ومجاز لغوى ومجاز مرسل وكناية وعن طريق نظم هذا الأداء من تقديم أو تأخير أو إيجاز أو اطناب أو قصر أو فصل ووصل .. الخ من مجال علم المعانى، وعن طريق الأداء اللفظى وطريق الكلمة الفصيحة والبليغة ووضعها فى مكانها اللائق بها، والكلمة المحسنة للمعنى، للفظ، مما يوصلنا إلى استخدام البديع، وفى ذلك ثراء للباحث فى البلاغة والناقد البلاغى، ومما يوصلنا إلى هذا خطوات سرتُ عليها كان من أهمها : أن يقرأ الباحث قراءة

واسعة، ليحيط علماً بكل ما يدور حول بحثه سواء أكانت على لسان محدثين أم قدامى، وسواء أكانت محمولة إليه بوساطة المطبوعات أم المخطوطات، ومن هذا تبرز أمام الباحث عمليتان جسيمتان، هما: الاستقراء والاستنباط، فالاستقراء هو جمع المادة ثم تستنبط خلاصتها، كأن يصل إلى الحقائق الجزئية كالقصيدة الواحدة من شعر الشاعر، واستنباط الحقائق الكلية فى الحكم على شعر الشاعر، ثم يخرج من ذلك بحكم عام على بعض القضايا العامة التى تستنبط من اللمحات الأسلوبية لعصر الشاعر مثلاً، وذلك كما سبق الحديث عن أبى العلاء المعرى وما اشتهر عنه بإلحاده ومهاجمته للديانات واستشهدوا ببعض شعره، إلا أن هناك ما أثبت ديانته واتضح هذا بالاستقراء والاستنباط، مما أدى إلى فائدة بلاغية ظهرت فى طريقة أدائه وتعبيره عن عواطفه التى اختلفت باختلاف أحواله وأيامه التى عاشها، مما ينحو بالباحث إلى وجوب التأمل الطويل عند كل ما يقرأ، والدقة المتناهية فى تفسير الآراء التى يقرأها عن بحثه، وينتبه لما يمكن أن يحدث من تصحيف لبعض نقاط الكلمة فتعطينا معنى آخر لكلمة أخرى، أو تحريف لبعض الكلم عن مواضعه، ولعل مرجع ذلك إلى ملكة الباحث وقدرته على تشخيص العلل للظواهر المميزة لبعض العصور، ومما لا يخفى على الباحث أيضاً أنه يجب عليه ألا ينساق وراء بحثه فيؤثر عليه سلطان الهوى، فيركن إلى عاطفته مبتعدا عن الحقيقة المنشودة، ويتناسى رسالته فى الدقة والاعتدال فى الحكم، مما يجعله يغمض عينيه عن المساوئ، فيجسم المحاسن، ويحيد عن بحثه البلاغى فى تبيان الجيد من الردئ من الكلام، والأحكام النقدية العامة التى تتفق وبحثه.

ومما هو جدير بالذكر، علــى البـاحث فـى البلاغـة أن تكـون لديـه ملكة التحليل والتذوق، وهى تنتج عن طول انكبابه علــى قـراءة الشـعر، وآثار القدماء والمحدثين من الأدباء، وأن تكون لديــه حاسـة فنيـة تمكنـه من تذوق النص تذوقاً سليماً يتأثر بشخصيته وما يمتزج فيها من مشاعر وأحاسيس وأهواء وعادات، ويتجرد من كل عنصــر يفسـد هـذا التـذوق حتـى يكـون تذوقـه سـليماً سـديداً، ويعلـل لـه تعليـلاً علـى أسـس بلاغيـة توضح جماله وتأثيره فى النفوس.

فإذا كان موضوع البحث البلاغى هنا ظـاهرة بلاغيـة فـى عصـر من العصور أو تحليل لقصيدة معينـة فـى فن معيـن، أو تحليـل وتـذوق لعمل أدبى نثر أو شعر، فينبغى أن يُحَلّلَ إلى العناصر التى يتكون منها، حتى تتضح الرؤية البلاغية فى العمل الأدبى، فمثلاً شعر زهير ابن أبى سلمى فـى العصـر الجـاهلى يـرد إلــى التصويـر ومـدى العنايـة بـه، والتصويـر يحلـل بمعرفـة التفـاصيل المسـتخدمة فـى شعره مـن إبـرازه للصـورة البلاغيـة عـن طريـق التشـخيص والتجسيم والحركـة واللــون والصوت باستخدام العبارات التى تشتمل على الفصاحة والبلاغة، ومدى مطابقة كلامه لمقتضى الحال.

وعلى الباحث أيضاً أن يتثبت مـن آراء غيره ، ويوافـق مـا يقـره المنطق والأحداث، وصدق الرواية وأمانة المؤلف.

وللبـاحث أن يختـار موضـوع البحـث اختيـاراً يتحقق فيــه الجــدة والأصالة مما يجعل بحثه جيداً، ويدفعه إلى التوصـل إلـى نتـائج طيبـة، تكون له وليست عليه، فتحسب له فى ابتكاراته، ومـن أجـل ذلـك يعـالج بحثه ناحية فكرية أو اجتماعية، فعلى سـبيل المثـال يختـار البـاحث أحـد

الشعراء ليبرز بلاغته، فيتناول ما يهم المجتمع من أفكار ذلك الشاعر في ضوء لغته المبلغة لأفكاره وأحاسيسه بأساليب بلاغية يظهر فيها مدى تشخصيه للأحداث المختارة المؤثرة في المجتمع وتجسميه لها عن طريق رسم الصورة البلاغية، ويؤدى ذلك بوضوح وسلاسة مع ملائمة ذلك بالوقت الكافى لاعداد بحثه، حتى يتسنى له أن تتضح شخصيته التى يتناول بها الموضوع، حتى ولو كان مطروقاً قبل ذلك، فالباحث بذكائه وسعة اطلاعه، وكثرة استقرائه واستنباطاته، وملكته الخصبة وموهبته اللغوية والبلاغية يستطيع أن يبرز جانباً جديداً، حتى يصبح الموضوع القديم جديداً، فالذين كتبوا فى قضية الإعجاز القرآنى كثيرون، وستبقى الكتابة فيها إلى يوم الساعة بمشيئة الله؛ وذلك نظراً لأهمية الموضوع وجدته ورحابته، فقد كتب فيه علماء العربية منذ نزول القرآن ومعرفة تأثيره على النفوس، ونظمه البديع المعجز إلى يومنا هذا.

وبعد أن يجمع الباحث بحثه يرتبه وينسقه ويضعه فى فصول منظمة، بحيث لا تختلط أفكاره ولا تتمزق فتتناثر متفرقة بدون ترتيب يعمل على انجاح العمل.

وللباحث بعد ذلك أن يقدم لبحثه، ثم يعرض لموضوعه ثم يختم له بخاتمة تناسب موضوعه من حيث العرض والأفكار والنتائج المناسبة له، ومن البدهى أن يكون ذلك فى وضوح وسلاسة فى التعبير مع فصاحة الألفاظ وعدم تعقيدها وجمال نظم العبارات المكتوب بها ذلك البحث البلاغى الذى يُعدّ أولى البحوث بتلك المَيْزَةِ.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً، أن يكون للبحث عنوان يشوق القارئ ويجذب انتباهه فيسعى لقراءته من يطلع عليه.

ولكى يكون البحث فى قالب الجودة، يختط له الباحث خطة منظمة مرتبة حسب قواعد وأصول الموضوع، وذلك فى أبواب وفصول تشتمل على الأفكار العامة ثم التى تليها بالترتيب المنظم.

ولإخراج البحث منظما ومرتبا فى صورة مرضى عنها، لا يجب أن ينسى الباحث إعداد المراجع اللازمة لبحثه، وكتابة المادة المستخدمة فى ذلك البحث، والذى سيستعين بها الباحث ويكون ذلك فى بطاقات أو دوسيهات ليرتب أفكاره وينظمها حسب ما يقتضيه نظام البحث.

وليكون العمل مثمراً فإنه يجب على الباحث أن يعد دليل محتوى البحث وهو الفهارس التى تحتوى على كل ما جاء فى بحثه من فهرس للموضوعات وفهارس أخرى للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقوافى والأمثال السائرة والبلدان والأنهار والأعلام، والأحداث والسنين والمصطلحات البلاغية، والمراجع والمصادر وقد لا يحتاج كل بحث لكل هذه الأنواع من الفهارس مجتمعة.

ولا ينسى الباحث مشقة مرحلة الكتابة لبحثه، فهى على جانب كبير من الأهمية، فليهيئ نفسه لتحديد الموضوع الأساسى، وليبعد عن موضوعه الزائد عنه، وما يجعله تحت النقد اللاذع لخروجه عن الموضوع ولحشوه أو تطويله أو لاختصاره المخل، وهذا ينافى البلاغة ويفسد تماسك الموضوع ويذهب رونقه.

ومما يجعله فى مرآة جلية حسن تنظيمه عن طريق ترقيمه ترقيماً يناسب منهج اختياره لطريقة البحث التى سار على نهجها من ترقيم موحد لكل باب على حدة أو لجميع صفحات البحث، وهذا حسب ما يقتضيه استقلالية أفكار بحثه.

وعليه أن يشير إلى المصادر والمراجع التى اقتبس منها معلوماته واستمد أفكاره .

ويجب أن تتضح هوامش البحث بكل ما فيها من إشارة إلى استخدام كل مرجع بما فيه من معلومات ترشد القارئ إليه حتى يرجع إلى ذلك المصدر وتزداد معرفة القارئ وثقافته.

ومما يتمم الفائدة على الباحث أن تكون مقدمة البحث صورة توضيحية له، مع بيان سبب التأليف وإلقاء الضوء على فكرة البحث وأبوابه وفصوله وأبرز المراجع التى ساعدت الباحث على الكتابة، والصعاب التى واجهته أثناء تلك الكتابة، ثم يختم المقدمة راجياً أن يكون بحثه مفيداً فينتفع به من يقرأه.

وفى النهاية يختم بمبتكراته العلمية البلاغية التى توصل إليها أثناء بحثه ويكتبها على حسب أهميتها وجودتها فى نظره، وهى صورة موجزة للقارئ عن فائدة البحث وأهميته فهى مرآة ترينا نزعة البحث ومساره وليبلغ الغاية التى يهدفها المؤلف.

ومما هو جدير بالذكر، أنه فى أثناء عرضى لمنهج البحث، أطيت أمثلة مختلفة لميادين البحث البلاغى، وأشرت إلى أخرى برزت فيها شخصية الباحث، برغم عن اتحاد الموضوع واختلاف الكتّاب.

ولتكمل الفائدة التى أردتها من التعريف بكيفية كتابة بحث بلاغى على أساس قويم كان علىَّ أن أعرّف القارئ بأهم وأبرز ما يستخدمه من معاجم عربية أو معاجم التراجم والسير، وأمثلة لأهم المراجع البلاغية وجهود علماء البلاغة فى عصورها المختلفة.

فالمعاجم أو القواميس هى المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات الخاصة بالكلمات من حيث النطق والتركيب والمعنى والأصل وغير ذلك.

وتحتاج المعاجم إلى إلمام كاف بالقواعد الصرفية واللغوية ودقائق علم الاشتقاق، والمقدرة على رد الكلمات إلى أصولها الثلاثية، لذا يجب على الباحث أن يعرف معنى كل كلمة تمر عليه بالبحث عنها فى أحد معاجم اللغة التى يجب أن يحتفظ بها لاستخدامها فى أوقاتها المناسبة لها، ومن هنا كانت أهمية المعاجم فى فتح ما استغلق فهمه على الباحث؛ حيث لا غنى عنها له، وأشرت إلى أن المعاجم العربية نوعان: معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعانى.

فمعاجم الألفاظ هى التى تفسر المفردات اللغوية وتبين معانيها مع ذكر الاشتقاق والمترادف والمتشابه ولها طريقتان :

الطريقة الأولى : هى ترتيب الألفاظ فى المعجم باعتبار الحرف الأخير من الكلمة، ولكل حرف باب، ثم ترتيب كل باب من هذه الأبواب وفقاً للحرف الأول من الكلمة وهكذا، وتسمى هذه الطريقة، طريقة الترتيب على أساس "القافية" ويسير على هذه الطريقة فى

الترتيب: القاموس المحيط للفيروزبادى والصحاح للجوهرى ولسان العرب لابن منظور.

والطريقة الثانية : هى الترتيب الهجائى المعروف، فترتب الكلمات حسب الحرف الأول، وإذا اشتركت الكلمات فى الحرف الأول ترتب حسب الحرف الثانى ويسير على هذه الطريقة "أساس البلاغة" و"المصباح المنير"،"المنجد"، والمعجم الوسيط وغيرها من المعاجم.

ومعاجم المعانى : من أشهرها كتاب الألفاظ لابن السكيت وكتاب "فقه اللغة" للثعالبى وكتاب "المخصص" لابن سيدة، وصدر حديثاً من معاجم المعانى كتاب "الإفصاح فى فقه اللغة" وهذه المعاجم لها خاصيتها بالبحوث، فإذا جال بذهن الباحث معنى ولا يجد اللفظ المناسب الذى يعبر عن هذا المعنى بدقة فإنه يجد بغيته فى تلك المعانى.

ومما هو مفيد للباحث، ولا يفوته استخدامه :

معاجم التراجم والسير : فهى تدل على اهتمام العرب الكبير بالتاريخ وتدوين ترجمات النوابغ والمشاهير فى جميع الفنون ولا تخفى أهميتها فى البحث، ومنها على سبيل المثال لا الحصر معجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان وهما مرتبان ترتيباً هجائياً بحسب الأسماء، ومنها ما رتب بحسب العصور، كيتيمة الدهر للثعالبى، ومن التراجم التى تتخذ سنة الوفاة أساساً فى ترتيبها مثل "شذرات الذهب" لابن العماد الحنبلى، ومن معاجم التراجم أيضاً الأعلام للزكلى، وهو أحدث معاجم التراجم التى صدرت حديثاً، وهو مرتب حسب الحروف الهجائية، وترتيب الأسماء حسب الحروف الأولى ثم ما يليه، وهو يسير

فى التراجم علـى حسب الاسم الاصلى للعلـم، ويـورد فـى نهايــة كــل ترجمــة فــى الهامــش أهم المصادر التى رجع إليها واعتمد عليها وذلك باختصار، إلى غير ذلك مـن الكثيـر مـن كتب التراجم والسير.

أما ما يختص بالمراجع البلاغية التى هى طلبة الباحث البلاغى وبغيته، واستفادته منها عظيمة، فقد ظهر منها قدر كبير فى فتـرة قـوى فيها الامتزاج بين العرب والعجـم، واحتـاج كثير مـن المسلمين لشـرح الأساليب البيانيـة، فظهـرت الإشـارات البلاغيـة علـى لسـان أبـى عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه "مجـاز القرآن" لسد حاجـة المجتمـع الجديـد، وسار علـى نهجه الفراء فى كتابه "معانى القرآن".

وفى القرن الثالث الهجرى دافع الجاحظ عن البيان العربـى بعامـة وأبرز محاسنه، ودافع عن النظم القرآنى فألف كتابه "نظم القرآن" ولكنه ضـاع مع الايام، وكانت الإشارات المبثوثة فـى كتابيـه "البيـان والتبيين" و"الحيوان" تحدث فيهما عن النظم القرآنــى والنظـم العربـى بوجـه عـام، ولقد ظهر أول تعريـف للاسـتعارة علـى يديـه وأمـد البلاغيين مـن بعـده بأمثلة من عيون الأدب العربى كانت لهم زاداً لا ينفد ومعيناً لا ينضب.

وسار ابن قتيبة على نهج الجاحظ يدافع عن البيـان العربـى وعـن المجـاز فى اللغة، وظهر التبويب للمسائل البلاغية علـى يديـه وذلـك فـى كتابه القيم "تأويل مشكل القرآن" كما أبرز محـاسن الأدب العربـى وقـرر أن الجمال فى اللفظ والمعنى.

ثم ظهرت الإشارات البلاغية أيضاً على لسـان المبرّد فـى كتابيـه "الكامل"، و"البلاغة" ثم ظهر كتاب "قواعـد الشـعر" لأبـى العبـاس ثعلـب الذى أشار فيه إلى بعض المسائل البلاغية والنقدية.

ثم انتقلت البلاغة من مرحلة الإشارات إلى مرحلة الكتب المنهجية على يدى ابن المعتز فى كتابه "البديع" الذى أشار فيه إلى عناصر الجودة لِتُتَّبعَ، وأبان عناصر الرداءة لِتُجْتَنبَ، وأطلق على البلاغة كلها اسم "البديع".

ثم قامت حركة نقدية فى القرن الرابع الهجرى على يد الآمدى فى كتابه "الموازنة بين الطائيين" وكذلك الجرجانى فى كتابه "الوساطة بين المتنبى وخصومه" نظراً للمعركة التى نشبت بين أنصار البديع، وأنصار عمود الشعر العربى، وكذلك بظهور الخصومة بين أنصار المتنبى وخصومه.

ثم قويت بعد ذلك فكرة الصورة البيانية وبرزت عناصر الإعجاز فى النظم القرآنى والكشف عن ناحيتى الجمال فى النظم العربى بوجه عام، ولقد اتضح ذلك فى رسالة الرمانى "النكت فى إعجاز القرآن".

ثم برز كتاب "الصناعتين" لأبى هلال العسكرى الذى وضح فيه الهدف من تعلم قواعد البلاغة العربية، وجمع كل ما قيل حول قواعد البلاغة ورتبها فى قوالب مهدت لظهور البلاغة التقعيدية.

ثم تحول الفكر البلاغى إلى النظر فى عناصر الجودة للنظم العربى، وابتعد عن النظر فى المحسنات البديعية أو الأمور البلاغية متفرقة.

حاول الخطابى بعد ذلك أن يوضح النظم فقرر أنه اللفظ والمعنى، وهاجم الأحكام العامة، ودعا إلى الأسباب الموضوعية للجمال الفنى، وذلك فى رسالته "بيان إعجاز القرآن".

جاء البلاقانى بعد ذلك ناظراً إلى النظم، ولكنه نقل البحوث النقدية من النظرة الجزئية إلى النظرة العامة، ففتح الطريق إلى النقد الموضوعى، وذلك فى كتابه "إعجاز القرآن".

أما من مهد الطريق لنظرية النظم فهو عبد الجبار الهمذانى فى كتابه "المغنى فى أبواب التوحيد والعدل" فبحث فى العلاقات بين الألفاظ.

وكان للشريف الرضى أثر قوى فى دراسته حول "مجازات القرآن" مما أدى إلى نمو الصورة البيانية ثم أتانا "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجى الذى قام بدراسة واسعة حول الألفاظ منفردة ومجتمعة، وكذلك المعانى، ففتح الطريق أمام الدراسة المهنجية للمعانى البلاغية.

إلا أننا رأينا ابن رشيق المعاصر له فى كتابه "العمدة" يحشر مسائل البديع والبلاغة والنقد متبعاً فى ذلك ابن المعتز وأبى هلال العسكرى.

ولا نلبث إلا أن نرى "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجانى فتناول فى الأول تفسير إعجاز القرآن البلاغى، مهتدياً بفكرة عبد الجبار التى يقول فيها، إن الإعجاز يرد إلى فصاحة الكلام. وليس هذا بمعنى حسن اللفظ والمعنى، وما يتصل بذلك من الصور البيانية، وإنما بمعنى الأداء والنسب النحوية للكلام، وأحس بفطنته أن كلمة الفصاحة لا تدل دلالة دقيقة على هذا المعنى، فاختار بدلاً منها كلمة النظم التى شاعت بين الأشاعرة، والتى بنى عليها الباقلانى كلامه فى كتابه "إعجاز القرآن" واسترسل فى شرح النظم وما يحوى فيه من المعانى الإضافية الناشئة من تعلق الكلمات فى العبارة والعبارات

بعضها ببعض، وترتيبها وصوغها حسب مجراها فى النفس، بحيث تصبح لها كيفياتها الخاصة من التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، والتأكيد والقصر، ومضى يصور ذلك تصويراً جميلاً محللاً لتلك المعانى الإضافية فى الأسلوب والأداء، بحيث عُدَّ مؤسس علم المعانى فى العربية بلا منازع، وعرض فى هذا الكتاب عرضاً مجملاً للصورة البيانية مكتشفاً لما سماه المجاز الحكمى أو العقلى، كما عرض للسرقات الشعرية، ناثراً كثيراً من اللفتات البارعة والآراء الطريفة.

ثم يكشف عن الصور البيانية فى كتابه "أسرار البلاغة" وفيه يتجلى حسه الدقيق المرهف فى تبيين الفوارق بين هذه الصور، ودلالاتها النفسية، وحينما يتحدث عن الجناس والسجع، يثبت أن الجمال منهما لا يرد إلى الألفاظ والجرس الصوتى، وإنما يرد إلى ترتيب المعانى فى الذهن ترتيباً يؤثر فى النفس، ويمضى إلى الاستعارة فيعرض أقسامها من أصلية وتبعية فى الفعل، وتصريحية ومكنية، ثم يحلل ضروب التشبيه تحليلاً بارعاً، ويطيل الوقوف عند التمثيل كاشفا عن مزاياه النفسية والجمالية، ويستطرد إلى السرقات الشعرية متحدثاً عن المعانى العقلية والتخيلية، ثم يعود إلى البحث فى الحقيقة والمجاز اللغوى، بقسميه من الاستعارة والمجاز المرسل، ويتسع الكلام عن المجاز العقلى الذى سماه البلاغيون مجاز الحذف والزيادة، وبذلك وضع عبد القاهر علم البيان، كما وضع من قبل علم المعانى.

وعلى ضوء طريق عبد القاهر سار الزمخشرى فى "الكشاف" مطبقاً تطبيقاً دقيقاً على الآيات الكريمة كل ما استنبطه عبد القاهر من قواعد وأصول فى العلمين جميعاً، ولقد ظهرت ملكاته العقلية مع

إحساسه المرهف، وذوقه الدقيق فى تحليلاته، ورأينا بصره بأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية.

وسرعان ما طمست الينابيع العقلية والذوقية التى أمدت عبد القاهر والزمخشرى بكتاباتهما البلاغية التى تملأ النفس إعجاباً، وكان من أهم الأسباب فى ذلك، سريان روح الجمود والتعقيد فى الأدب بنوعيه : من الشعر والنثر، وانعكاس ذلك على البلاغيين، فإذا هم يكتفون بتلخيص عبد القاهر، وقد يلخصون معه الزمخشرى تلخيصاً جافاً، إذ تدرس البلاغة دون عناية بتحليل النصوص الأدبية، وتمتزج بمباحث منطقية وفلسفية وكلامية وأصولية ونحوية كثيرة، تسرع بها إلى الجمود والجفاف، وكان أول من فعل ذلك الفخر الرازى فكان شغوفاً بالحدود والتعاريف وتشعيب الأقسام، وأقحم مسائل المنطق والكلام والنحو على تلخيصه، مما جعله يتشكل فى صورة من القواعد الجافة الجامدة فى كتابه "نهاية الإيجاز فى دارية الإعجاز".

وخلفه السكاكى فى القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" مستهدياً بصنيعه، فاستعان فى عمله بالمنطق وما أثار المتكلمون والأصوليون والنحاة من بعض الآراء، وضم إلى تنسيقه لعلمى المعانى والبيان ذيلاً تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، وبذلك أصبحت مباحث البلاغة عنده تشمل المعانى والبيان وتوابعهما من البديع. وتحولت إلى قواعد جافة جامدة كقواعد النحو والصرف، مع عسر والتواء ليس بقليل، حتى صنعت لها الشروح تلو الشروح.

وظهرت بعد السكاكى دراسات جانبية انحرف بها أصحابها عن طريقه أو ساروا فيها سيراً غير دقيق، فكان الزملكانى فى كتابه "التبيان المطلع على أسرار الإعجاز"، وبدر الدين بن مالك فى كتابه "المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع" ثم الخطيب القزوينى فى كتابيه "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح" وبهاء الدين السبكى فى كتابه: "عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح" وسعد الدين التفتازانى فى "المطول والمختصر"، ويحيى العلوى : فى كتابه "الطراز".

ولقد حاول بعض علماء البلاغة إحياء بعض المناهج القديمة فسار ابن الأثير فى "المثل السائر" على منهج ابن سنان الخفاجى فى "سر الفصاحة" كما سار ابن أبى الإصبع المصرى فى "تحرير التحبير" و"بديع القرآن" على منهج ابن المعتز فى كتابه "البديع" ولكن طريقة ابن الأثير لم يقدر لها الانتشار، وتحولت طريقة ابن المعتز إلى البديعيات.

وأهم من نزعوا عن قوس السكاكى الخطيب القزوينى، فإنه صنف تلخيصاً دقيقاً لمباحثه البلاغية فى المفتاح، ذلَّلَ فيه صعوباته، مع الاستضاءة بتلخيص بدر الدين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزمخشرى، وهو يناقش الأخيرين كثيراً، أما السكاكى فيخصه بكثير من الاعتراضات على تعاريفه وبعض آرائه، ورأى فى هذا التلخيص إجمالاً أكثر مما ينبغى فصنف كتابه "الإيضاح" يبسط فيه معانيه المجملة، وقضاياه المُشكِلَة، وأقبل شراح مختلفون على التلخيص يشرحونه، بين مصرى وإيرانى ومغربى، ومن أهمهم السبكى المصرى، وسعد الدين التفتازانى الإيرانى وابن يعقوب المغربى. وكتبت على بعض الشروح حواشى للسيد الشريف الجرجانى، والشيخ

محمد الدسوقى وجميعها تخوض فى مباحث فلسفية منطقية وكلامية وأصولية ونحوية ومناقشات لفظية، وكل يعيد ما قاله سالفه إعادة تصور ما ساد فى المباحث البلاغية من عقم وجمود.

ثم قامت محاولات على أيدى شباب العصر الحديث تريد النهوض بالدراسات البلاغية مثل سيد قطب فى كتابه "التصوير الفنى فى القرآن" والدكتور أحمد بدوى فى كتابه "بلاغة القرآن" وبعض الرسائل الجامعية، وهذه محاولات تسير على منهج الشيخ عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى، فهى تسهم فى إبراز عناصر الجمال فى الأدب العربى، وعليها يتحقق بيان الجمال فى لغة القرآن الكريم الذى لا يدانيه بشر.

وكان لزاما على المشتغلين بعلوم البلاغة - مع احتفاظهم بطابعها القديم - أن يزيلوا العوائق التى وضعت فى طريقها، وأن يعملوا على تنشيطها وتحديد معالمها، حتى تدب فى عروقها ماء الحياة، وتتدفق فى شرايينها دماء الشباب، وهذا ما تنحو إليه الرسائل الجامعية الآن والتى سبقت الإشارة إلى بعض منها خلال هذا الكتاب.

هذا والمؤلفات الحديثة فى علوم البلاغة لتبسيط قواعدها وتيسيرها كثيرة الآن، وأسلوبها عصرى سهل، ويخلو من الأساليب المعقدة، والأصول الجدلية المنطقية، ليسهل فهمها وتأدية المراد منها فى خدمة الهدف المنشود، وهو محاولة الكشف عن أسرار جمال اللغة العربية، لبيان إعجاز القرآن الكريم.



المصادر والمراجع

١- أثر النحاة فى البحث البلاغى ـ دكتور عبد القادر حسين ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة

٢- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانى ـ تصحيح محمد رشيد رضا ـ مطبعة الترقى ١٣١٩هـ

٣- أصول البلاغة لأبى ميثم البحراني ـ تحقيق الدكتور عبد القادر حسين ـ دار الشروق.

٤- إعجاز القرآن للباقلانى ـ تحقيق خفاجى ط١ صبيح ١٣٧٠هـ.

٥- الأعلام للزركلى ط٢ ـ دار العلم للملايين.

٦- الإيضاح فى علوم البلاغة ـ للخطيب القزوينى ـ شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجى ط٢. الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

٧- البحث الأدبى للدكتور شوقى ضيف ط ٦ ـ دار المعارف.

٨- البحث الأدبى ومنهجه ـ نورى شاكر الألوسى ـ دار الحرية بغداد ١٩٨٤م.

٩- البديع لابن المعتز ـ نشر كراتشوفسكى ـ مطبعة ستيفن بمدينة هرت فورت ١٩٣٥م، وهو ضمن كتاب ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان.

١٠- البرهان فى علوم القرآن للزركشى - تحقيق أبو الفضل إبراهيم ط١ الحلبى ١٩٥٧م.

١١- البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقى ضيف دار المعارف بمصر ط٣.

١٢- بيان إعجاز القرآن - للخطابى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله، الدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر.

١٣- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق هارون ط٢ - الخانجى بالقاهرة والمثنى ببغداد ١٩٦٠م.

١٤- تاريخ نشاة علوم البلاغة العربية وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ط١ ١٩٧٨م، دار الطباعة المحمدية.

١٥- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر - الحلبى ١٩٥٤م.

١٦- التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثى - مطبعة العانى بغداد ط ١٩٦٤م.

١٧- التصوير الفنى للقرآن - سيد قطب - دار المعارف.

١٨- تفسير غريب القرآن تحقيق السيد أحمد صقر.

١٩- تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى ـ تحقيق محمد عبد الغنى حسن.

٢٠- دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجانى ـ تصحيح محمد رشيد رضا ـ مطبعة الترقى ١٣١٩هـ.

٢١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ـ تحقيق عبد المتعال الصعيدى ط صبيح ١٣٧٢هـ.

٢٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ لابن العماد الحنبلى ـ تحقيق لجنة إحياء التراث بيروت.

٢٣- شروح التلخيص وهى مختصر العلامة التفتازانى ـ المغربى ـ السبكى ـ دار السرور بيروت لبنان.

٢٤- الشوقيات لأحمد شوقى ـ شركة فن الطباعة ـ المطبعة التجارية الكبرى ١٩٤٨م.

٢٥- الصناعتين لأبى هلال العسكرى ـ تحقيق البجاوى وأبى الفضل ط١ الحلبى.

٢٦- الصورة البيانية فى ديوان السرى الرفاء ـ رسالة دكتوراه ـ للدكتورة عائشة حسين فريد القاهرة ـ ١٩٨٩م.

٢٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ للعلوى ـ راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

٢٨- العمدة لابن رشيق ـ تحقيق محى الدين عبد الحميد ـ نشر التجارية ط٢ ١٩٥٥م.

٢٩- عيار الشعر لابن طباطا ـ تحقيق الحاجرى ومحمد زغلول سلام ـ المكتبة التجارية ١٩٥٦م.

٣٠- الفهرست لابن النديم تحقيق رضا تجدد.

٣١- فى المكتبة العربية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول ـ دار الطباعة المحمدية ـ ط١ ١٩٨٠م.

٣٢- قواعد الشعر لثعلب تحقيق خفاجى ط١ ١٩٤٨م.

٣٣- الكامل فى اللغة والأدب ـ للمبرد ـ مراجعة لجنة من العلماء ـ نشر التجارية ـ مطبعة الاستقامة ١٩٥١م.

٣٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ للزمخشرى ـ مطبعة البابى ط٢ ١٩٧٢م.

٣٥- لسان العرب لابن منظور.

٣٦- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق الدكتورين بدوى طبانة وأحمد الحوفى نهضة مصر ـ ط١ ١٣٧٩هـ.

٣٧- مجاز القرآن لأبى عبيدة ـ علق عليه وعارضه بأصوله الدكتور محمد فؤاد سركيس ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة.

٣٨- المختصر فى تاريخ البلاغة للدكتور عبد القادر حسين ـ دار الشروق ط١ ١٩٨٢م.

٣٩- ماسئل الانتقاد لابن شرف القيروانى، تحقيق الدكتور النبوى عبد الواحد السيد شعلان ط١ ـ مطبعة المدنى ١٩٨٢م.

٤٠- معانى القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

٤١- المعاجم العربية دارسة تحليلية للدكتور عبد السميع محمد أحمد ـ دار الفكر العربى.

٤٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ عبد الرحيم العباسى ـ حققه وعلق على حواشيه محمد محى الدين عبد الحميد ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٤٣- ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ـ محمد عبد المنعم خفاجى ـ دار العهد الجديد للطباعة.

٤٤- معجم الأدباء - ياقوت الرومى - مطبوعات دار المأمون - راجعته وزارة المعارف.

٤٥- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - عبد الجبار جـ١٦ - تحقيق أمين الخولى - نشر وزارة الثقافة دار الكتب.

٤٦- مفتاح العلوم للسكاكى - ضبط وشرح نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٧- مقدمة شرح نهج البلاغة لأبى مثيم البحرانى - فن البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على تحقيق وتقديم الدكتور عبد القادر حسين - دار الشروق ط١ ١٩٨٧م.

٤٨- المكتبة والتربية - عبد ربه محمد وعبد الجليل السيد حسن - دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.

٤٩- من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى - مكتبة نهضة مصر - مطبعة لجنة البيان العربى.

٥٠- نشأة الفنون البلاغية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول مطبعة لطفى ١٩٨١م.

٥١- نقد الشعر لأبى قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى - مكتبة الخانجى.

٥٢- النقد المنهجى محمد مندور - نهضة مصر.

٥٣- النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن.

رسائل جامعية للاطلاع مثل :

١- التشبيه فى ديوان الصنوبرى - عائشة حسين فريد - رسالة ماجستير القاهرة ١٩٨٦م.

٢- التشبيه فى ديوان امرئ القيس. زينب عبد الجواد رزق شتا - رسالة ماجستير - القاهرة.

٣- الصورة الفنية فى ديوان - أحمد شوقى. عزيزة عبد الفتاح الصيفى رسالة ماجستير القاهرة.



فهرس الموضوعات

[الفصل الثانى]

[الفصل الثالث]

أهم مراجع المكتبة البلاغية

بحسب عصورها المختلفة



هذا الكتاب

هذه خطوات تضئ الطريق أمام من يريد معرفه كيفية البحث البلاغى والدرس والتنقيب عن كنوز المعرفة البلاغية وأسرارها، ليصير الطريق أمامه ممهداً، فتتكون لديه القدرة على التأليف وكتابة الأبحاث بطريقة علمية منهجية.

وفيه أضواء على ما يساعد الباحث بالتعرف على ذخائر ونفائس أمهات كتب اللغة، وأبرز ما يستخدمه من معاجم اللغة ومعاجم التراجم والسير، والمصادر والمراجع البلاغية التى هى زاد الباحث فى رحلته مع البلاغة التى تطورت عبر العصور، مما يضئ الطريق أمامه .

عبده غريب